الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليــم العالي والبحث العلمــي

المركز الجامعــي العقيد أكلي محنـد أولحـاج
معهـد الآداب واللّغات

قسـم اللّغة والأدب العربي

فن البوقالة في منطقة بومرداس

إعداد الطالبتين:
دباب عائشة
عوف أم الخير

إشراف:
أ. بوحبيب حميد

السنة الجامعية: 2011/2010

إهداء

الحمد لله الذي ثبت خطاي، أنار دربي ووفقني في إنجاز هذا العمل العلمي الذي أهديه إلى:

التي جعل الله الجنة تحت قدميها، إلى التي حملتني واستقبلتني بضمة بذراعيها، إلى من لفتني بالدفء والحنان، وغطتني بالطمأنينة والأمان، صاحبة العطاء اللامتناهي إليك أمي الغالية.

إلى الذي كان سري في الوجود، الذي غرس فيّ الأخلاق الحميدة، وسقاها ينور الفضيلة، إلى الذي وهبني المكانة الرفيعة في رياض قلبه الواسع، مصباح البيت الذي لا ينطفئ ،ليك أبي الحنون.

إلى أمي الثانية مثلي الأعلى في الصبر والأخلاق، التي وهبها الله كمال العقل، ونور العفة والطهارة صاحبة القلب الطيب الواسع الحنون، أختي الحبيبة نعيمة.

إلى رياحين حياتي أخوتي الأعزاء: سميرة، فلة خاصة أخي العزيز "هشام" الذي كان سندا ومرشدا لي طيلة مشواري الدراسي، أتمنى لهم كل النجاح.

إلى من كانت بجانبي في السراء والضراء، وخطت معي سطور مذكرتي –عائشة-

دون أن أنسى صاحب الفضل الكبير في إنجاز هذا العمل، الأستاذ المشرف –حميد بوحبيب-

إلى كل من مرّ بشاطئ بحري وترك أثره راسخا في فكري.

أم الخير

إهداء

إلى من أوصى الله بها طاعة ورحمة وجعل الجنة تحت أقدامها، فإليك وحدك أمي أقول " أحبك".

إلى أروع إنسان في الوجود ، إلي الذي استرخص كل غال في سبيل تربيتي وتعليمي حسن الأخلاق إلى من شجعني على النجاح وكان سندي في السراء والضراء "والدي العزيز ".

إلى أفراد عائلتي، إلي الإخوة الكرام ، محمد ، جمال ، سيد علي خاصة أخي مراد .

إلى من أبكي على كتفها في الألم والضعف ، إلي من تمسح دموعي وتدعوا لي بالنجاح والسعادة.

إلى توأم روحي إلي من ساندتني وتساندني دائما أختي نعيمة ،أتمنى لك النجاح في حياتك العائلية وتحقيق كل الآمال .

إلى من عاشت معي أجمل حلقات حياتي صديقتي نادية التي لم أنساها رغم مرور الزمن ، أتمني لك النجاح في حياتك وأطال الله عمر والديك .

إلى التي كانت عونا لي في إنجاز هذا العمل ، رغم كل الصعوبات التي واجهتنا "أم الخير " أتمنى لك النجاح في مشوارك .

ولا أنسى " عمرو عشيش " الذي كان له الفضل في إنجاز هذا العمل .أشكر والدته وخالته اللتان استضافتانا في منزلهما وأطال الله أعمارهما . وفي الأخير أقدم الشكر إلى كل من كان له العون من قريب أو بعيد.

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ينساهم قلبي أهدي ثمرة جهدي.

عائشة

مقدمـــة

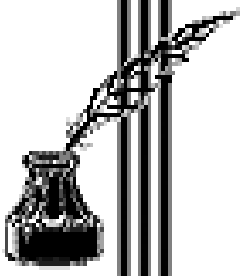

مقدمة:

التراث الشعبي الجزائري سجل حافل بمختلف الفنون التعبيرية التي توارثتها الأجيال عصرا بعد عصر، كما أنه خزّان القيم الإنسانية والمعاني الجمالية، ولأنه نابع من أعماق الشعب ومن مخياله الأدبي الثقافي، فهو لا يزال ينبض بالحياة ويفوح بعطر الذاكرة، ويحظى بالتجاوب الكبير والتفاعل المستمر لدى فئات المجتمع سواء في المجالس العائلية أو الولائم والمناسبات المختلفة. غير أن هذا الكنز الثمين قد بدأ يعلوه غبار التهميش والنسيان، فوجبت حمايته بالاحتفاظ به وبجوانبه الإيجابية وذلك برصد هذا التراث و جمعة و تصنيفه و دراسته.

و على الرغم من أن دراسة هذا التراث بعد رصده وتحقيقه ، يعد من المهام الثقافية المستعجلة فإن أشكال التعبير الشفوية الشعبية لم تلق اهتماما واسعا ولم تحض بالمكانة اللائقة بها، خاصة تلك الأشكال التي سميت " أشكال دنيا " كالبوقالة مثلا.

هذا الجانب من تراث الأمة لم يمنح ما يستحقه من عناية في ميدان التدوين والتحقيق والدراسة على الرغم مما تكتسيه من أهمية في الأوساط الشعوبية النسوية خاصة، كما أنّها جزء من العادات والتقاليد التي تمثل تراثنا الشعبي عامة، فهي تراث أمة بأكملها .

إن اختيارنا هذا الموضوع المتمثل في "البوقالة" كانت وراءه أسباب موضوعية أولاها ما لوحظ على هذا الجنس الأدبي من تهميش مع أنه يستدعي حقا البحث والدراسة، ليس لأنه خاص بالمرأة فقط بل لأنه يمثل تراث الأمة كاملة ، دون أن ننسى أن لها أبعاد كثيرة لأنها تتضمن مواضيع وأغراض تخص جميع جوانب حياة الإنسان ومجتمعه.

فكان بحثنا متمحورا حول : ماهية البوقالة، و مكانتها في والأوساط الشعبية قديما وحديثا؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتحرير هذا البحث الذي عنوناه "بفن البوقالة في منطقة بومرداس" الذي يبحث في علاقة البوقالة بالمجتمع عامة وبالمرأة خاصة وكيفية أداء طقوسها، وكان ذلك باختيار منطقة من مناطق مجتمعنا الجزائري وهي منطقة بومرداس معتبرين ذلك محاولة بسيطة لنفض الغبار عن تلك الكنوز الثمينة التي تختزنها الجزائر منذ زمن طويل.

وقد قمنا بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول أساسية، تضمن الفصل الأول مونوغرافيا عن المنطقة وذلك بالتطرق إلى مختلف العادات والتقاليد ، ضمن ما يسمى بدورة الحياة، كما يحوي بعض الطقوس وممارسات الفصول خلال السنة. أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه تاريخ البوقالة ومفهومها وطقوسها في منطقة بومرداس بالوصف والتحليل ويأتي بعدها الفصل الثالث والأخير الذي يدور حول العالم الدلالي والجمالي للبوقالة بتحليل مقاطعها. وقد خلصنا في الأخير بخاتمة كحصيلة عامة لما جاء في هذا البحث.

وكان كل هذا بإخضاع البوقالات لمنهجيين أساسيين هما الوصفي والبنيوي، إذ بعد التعرض للجانب التاريخي للبوقالة انتقلنا إلى إبراز الجانب الدلالي الرمزي لها، معتمدين في ذلك على مرجعين أساسيين أولاهما كتاب (لعبة البوقالة) للأستاذ فاطمة ديلمي الذي كان بمثابة الحجر الأساسي لهذا البحث، والثاني لقدور محمصاجي.

إلاّ أننا لا ننكر في الأخير أنه خلال مسيرة بحثنا واجهتنا بعض الصعوبات والعوائق تمثل أولها في نقص المراجع –بالدرجة الأولى- التي تتناول تاريخ البوقالة والخصوصيات المتعلقة بها وذلك نظرا لقلة الاهتمام بهذا الموضوع ، كما واجهتنا بعض الصعوبات في البحث الميداني وذلك في البحث عن المنطقة لعدم وجود مناطق كثيرة تهتم بهذه اللعبة وبأدائها، حتى وإن وجدت فهي تختلف عما كانت عليه قديما لعدة أسباب سنوردها في هذا البحث.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا البحث المتواضع، ولو بالقدر القليل في الإجابة عن بعض التساؤلات المطروحة حول هذا الموضوع الذي كان بالنسبة لنا شيقا جدا، كما نأمل أن نكون قد فتحنا باب النقاش في هذا الموضوع ومحاولة الخوض فيه بطريقة أوسع تقودنا إلى الاهتمام بتراثنا الشعبي وعدم الانسلاخ أوالتخلي عنه ، دون أن ننسى أنه يمثل شخصية أمة بأكملها.

الفصل الأول

مونوغرافيا

1- طبيعة المنطقة (جغرافيا، نمط حياة السكان...).

2- دورة الحياة (طقوس الميلاد، السّبوع، الختان، الزواج، الجنائز).

3- حركة الفصول وما يترتب عنها من ممارسات وعادات وطقوس).

لمحة تاريخية وجغرافية عن منطقة بومرداس:

ولاية بومرداس تقع في الشمال الأوسط للجزائر بين تيزي وزو والعاصمة الجزائرية، يعود تاريخها إلى فترة ما قبل التاريخ وقد مرت بعدة مراحل:

المرحلة الفينيقية في الفترة الممتدة بين (500 ق م – 146 ق م)، المرحلة الرومانية بين عامي (42 م و 431 م)، والمرحلة الوندالية بين (431 م و 534 م) وكذلك المرحلة البيزنطية في الفترة الممتدة بين (534م و707م)، وفي سنة 707 م خضعت بومرداس لحكم للدولة الإسلامية بعد فتحها من طرف موسى بن نصير وقد تعرضت للاحتلال الفرنسي على إثر حملة الماريشال بيجو عام 1844 م، وسماها الفرنسيون روشيه نوار "Rocher Noir" في العهد الاستعماري، وقد نمت بشكل مطرد بعد تأسيس الولاية 1983 م، وسميت بومرداس نسبة إلى الولي الصالح سيدي علي بن علي بن أحمد البومرداسي الذي أسس زاويتين إحداهما تسمى الزاوية السفلانية وتقع فوق البحر والثانية تسمى الزاوية الفوقانية تقع في حي أولاد بومرداس.

أما عن المناخ السائد في المنطقة فهو مناخ البحر الأبيض المتوسط، بارد ورطب شتاء، حار وجاف صيفا، إذ تتراوح كمية الأمطار المتساقطة سنويا بين 500 إلى 1300 مم بداية شهر شهر أكتوبر إلى غاية شهر مارس وتعرف المناطق الساحلية بلطافة جوها بمعدل حرارة سنوي يقدر ب 18°م على خط الشريط و25°م بالمناطق الداخلية للولاية.

أما التضاريس فتشكل الطبيعة بمنطقة بومرداس تضاريس متنوعة أهمها: المناطق الجبلية بنسبة 26 %، منطقة الهضاب والمرتفعات 26.5 %، منطقة الأراضي المستوية 36.5%. تحتوي الولاية على بعض الآثار الفينيقية والرومانية ولا ننسى طبعا الآثار الإسلامية،إضافة إلى احتواءها تسع دوائر وهي، (حسب تقسيمات سنة 1984).

- دائرة برج منايل وتبعـد 27 كلم عن الولاية.
- دائرة بودواو و تبعــد 17 كلم عن الولاية.
- دائرة دلس وتبعـــد 45 كلم عن الولاية.
- دائرة الثنية وتبعــد 17 كلم عن الولاية.
- دائرة يسر وتبعـــد 20 كلم عن الولاية.
- دائرة خميس الخشنة وتبعد 35 كلم عن الولاية.
- دائرة الناصرية وتبعـد 30 كلم عن الولاية.
- دائرة بغلية وتبعـــد 35 كلم عن الولاية.

ولا ننسى دائرة بومرداس، فهي تتربع على مساحة 1456.68 كلم^2 . أما عن سكانها فيقدر عددهم بحوالي 831.000 نسمة، تحدها غربا ولاية الجزائر ومن الجنوب الغربي ولاية البليدة، أما من الشرق فتحدها ولاية تيزي وزو وجنوبا ولاية البويرة ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط.

أما عن المنطقة فهي ذات طابع زراعي بحيث تنتج محاصيل كالعنب بالدرجة الأولى والتفاح، إضافة إلى إنتاج الزيتون، وهي كميات معتبرة مكنتها من المساهمة في الإنتاج الصناعي.

وفيما يخص أصل السكان فهم مزيج بين القبائل والحضر، بحيث يتوزعون على هذا الشكل تقريبا؛ 30 % قبائل، 35 % حضر، 35 % من هذه الفئة يختلفون عن الفئتين السابقتين وذلك في

طريقة الكلام بحيث يقلبون القاف إلى (ڤ) في بعض الكلمات مثل: قال -ڤال، قريب-ڤريب، إلى غيرها من الكلمات.

كما لا يمكن نسيان أن بعض مدن هذه الولاية قد تعرضت لزلزال 2003 الذي ضرب الجزائر.

لقد كان التراث الشعبي أحد المصادر الهامة التي استلهمها الشعراء والكتاب في العصر الحديث، فقد كان الاهتمام بالتراث الشعبي جزء من العناية بالهوية القومية والغوص في مقوماتها، باعتبار أن التراث الشعبي مرآة صادقة تعكس طبيعة الشعب المتوارثة على مر السنين عن طريق الرواية والحفظ، لذا يمكننا القول أن الدراسات الشعبية قد نشطت على نحو بارز في السنوات الأخيرة اهتمت بجوانب كثيرة من الأدب الشعبي على اختلاف أجناسه، لكن الملاحظ على تلك الدراسات وجود أجناس أدبية ذات شهرة واسعة لم تلق اهتماما على غرار الأجناس الأخرى، فالبوقالة مثلا كجنس أدبي شعبي تعد من بين الأجناس التي لم تنل حقها من الدراسة والبحث بالرغم مما تكتسيه من شهرة ورواج في الأوساط الشعوبية والنسوية على وجه الخصوص ،كما يرتبط هذا الجنس بالوجدان مباشرة بمعنى أنه خاصية مميزة ، دون أن ننسى أن البوقالة أو الشعر الشعبي عامة كله شفوي ومجهول المؤلف، مرتبط بطقوس دورة الحياة منتجة بذلك عادات وتقاليد، هذه الأخيرة تختلف من مجتمع لآخر ومنطقة لأخرى، ومنطقة بومرداس تنفرد هي أيضا بعاداتها وتقاليدها المميزة، والتي سنعرضها فيما يسمى "بدورة الحياة " أي ما يصاحب الإنسان من طقوس ومعتقدات وممارسات من لحظة ولادته إلى غاية دفنه، والحديث في هذه الدورة مهم جدا في إبراز العادات والتقاليد لهذه المنطقة والتعرف على تراثها الشعبي القيم.

فقد قمنا بزيارة بعض المناطق من الولاية وكان لمنطقة (أولاد عيسى) الحظ الأوفر من البحث.

والمنطلق كان من أولى مراحل الحياة الزوجية وهي مرحلة الحمل التي تدوم تسعة أشهر أو أقل بشهرين تقريبا، حين يكون الزوجان متشوقين إلى رؤية الأطفال الذين سيهبهم الله إياهم، و سنبدأ الحديث عن الفرحة التي تعيشها العائلة في منطقة (أولاد عيسى) بقدوم مولود جديد والعادات التي ترافق هذه الفرحة.

الولادة: في القديم كانت النسوة في (قرية أولاد عيسى) يلدن في البيوت، نظرا للظروف المعيشية الصعبة آنذاك، وذلك لقلة المراكز الصحية إضافة إلى بعد المسافة عنها، وانعدام المواصلات في المنطقة، فقد كانت "الولادة" أو "القابلة" و هي امرأة مختصة في هذا المجال بحيث تكون ذات خبرة ومعرفة كافية ، تقوم بتوليد النساء في البيت ، وتنال بعدها مقابل عملها بإهدائها قطعة قماش وصابون والحناء...إلخ.

أما حاليا وبعد تحسن مستوى المعيشة أصبحت المرأة تراجع الطبيب من حملها حتى الولادة، وعند قدوم "النافس"[1] من المستشفى تقوم بطبخ البيض وتوزعه على جميع الأولاد الصغار سواء الحاضرين أو أبناء الجيران بحيث يأكل الجميع من يدهها.

وبعد مرور سبعة أيام من الولادة يحضر له أهله ما يسمى (بالسبوع) حيث تقوم النساء بتحضير الكسكس في العشاء أو "البركوكس"[2] (العيش)، لكي يعيش الطفل فترة طويلة حسب اعتقادهم. كما يُدعى الأهل والأقارب للعشاء والفرح بقدوم هذا المولود الجديد.
ويستمر بعدها نمو ذلك الطفل الذكر أو الأنثى يوما بعد يوم يمر خلالها بمراحل عديدة منها:

- **مرحلة الجلوس:** بهذه المناسبة تقوم الأم بتجليس ولدها في مكان وتحيط به بمجموعة من الوسائد، وتحضر ما يسمى " الفال" أو "الدّراز" وهو خلط كميات من الحلوى والمكسرات بشتى أنواعها وتقوم بتوزيعها على الجيران والأقارب.

مرحلة إخراج الأسنان: تحضر بهذه المناسبة أكلة خاصة معروفة منذ القدم متوارثة أبا عن جد، إذ لا تزال تحضر إلى يومنا هذا تدعى "الشرشم"[3] وذلك تفاؤلا بأن أسنانه لن تمضغ إلا الخير، باعتبار أن القمح رمز للخير والخصوبة. وهكذا... مرورا بمراحل عدة كالمشي والكلام إلى أن يصل إلى سن الخامسة حيث تتم طهارته أو ختانه.

مرحلة الختان:

وهذا الأمر مسلم به في كامل القطر الوطني وليس في منطقة "أولاد عيسى" فقط، كما أن فترة الختان محددة بحيث لا تتجاوز الخمس سنوات كما هو متعارف عليه، ويمكن أن تتم هذه المناسبة في فترات عديدة كليلة السابع والعشرين من شهر رمضان الكريم تبركا بهذا الشهر الفاضل، أو المولد النبوي الشريف.

وفي هذه المناسبة كان الفتى في القديم يختن في البيت، بإحضار شخص مختص يسمونه "الطهار" وفي الوقت نفسه يتم إحضار وعاء به ماء بارد تضع فيه الأم رجليها، كما تقوم بوضع سكين في فمها واعتقادهم في ذلك أن لا تفزع الأم والطفل، إضافة إلى عدم ألمه بحيث يصبح جرحه باردا كالماء فلا يتألم، وبعد الانتهاء من العملية تقوم النساء بتقشير الرمان الحلو وتوزيعه على الأطفال الصغار.

أما اليوم فإنه يهيأ لهذه المناسبة بشهر مسبقا وذلك بتحضير الكسكس (الطعام) من طرف النسوة ويكون ذلك مصحوبا بالزغاريد والابتهالات والتقدام.

فقبل ختان الطفل بيوم واحد فقط تجتمع النسوة من الأهل والأحباب إذ يوضع الطفل في حضن جدته التي تقوم بوضع الحناء في يده اليمنى فقط مع الزغاريد والتقدام.

1- النافس: المرأة التي تضع حملها.
2- البركوكس: (العيش): يشبه الكسكس إلا انه أكبر منه حجما.
3- الشرشم: أكلة شعبية تتكون من القمح، الحمص، الفول، تطهى في الماء والملح.

وفي اليوم الثاني تلبسه الأم حلة خاصة - الكوستيم[1]- صباحا، وعند أخذه إلى الطبيب يلبس ثياب الطهارة (الختان) من قندورة وحذاء أبيض مع قبعة حمراء.

وعند عودته من الطبيب يستقبل بسلة البيض المطبوخ مع "المعارك"[2] أو (المسمن) الذي يوزع على الأطفال الصغار، وفي المساء يحضر العشاء الذي هو عبارة عن أطباق من الشخشوخة[3] أو (الرقاق)، الرفيس... وفي الصباح تحضر الطمينة مع الحليب والقهوة.

وكل هذا يكون مصحوبا بالابتهالات والزغاريد، فقد زرنا منزل السيدة (حورية البالغة من العمر 58 سنة) والتي قالت بمناسبة ختان ولد ابنها العام الفارط:

ختن ختن يالختان وسال الدم على يديه.

هو مايجرح ولدي وامو ما تغضب عليه.

ختن ختن يالختان وختن تحت الداليــة.

وليدي هليــل وامو نجمة عاليــة.

وبعد ذلك يدفن الجزء المبتور في التراب المحضر من قبل في قصعة والذي تكون الجدة قد جلبته برفقة النسوة والأطفال ثم تعود في اليوم التالي بتلك القصعة مع مجموعة من النساء وهن يغنين ويبتهلن إلى أن يصلن إلى المكان المرغوب الذي يسمى "الحد"[4].

أما اليوم فقد زالت تلك العادات بعد أن أصبح الطفل يؤخذ إلى الطبيب المختص. وتمر المناسبة بوضع الأشرطة الغنائية الموسيقية.

ومن هنا يصبح الفتى واعيا لكل ما يجري حوله، فيدخل حيز الحياة الاجتماعية، ويتم دخوله إلى المدرسة مرورا بكامل أطوارها وصولا إلى الحياة العملية، والى سن يجعله مهتما ومتوجها إلى مرحلة هامة جدا في حياته وهي تكوين أسرة، بزواجه وإنجاب الأولاد.

مرحلة الخطبة:

قديما لم تكن هناك خطبة بحيث كانت هناك كلمة بين كبار العائلة فقط، إذ كان العريس لا يرى زوجته إلا في ليلة العرس، باعتبار أن الوالدين هما من يختاران العروس ويتكفلان بكل مصاريف العرس دون أية معارضة من طرف الابن. أما حاليا فالعكس حيث أصبح الرجل هو من يختار المرأة التي ستكون زوجته، فيذهب لطلبها من أهلها رفقة أبيه وأمه، فتتعرف الأسرتان على بعضهما البعض في المرة الأولى.

أما الرجل فيعطي مبلغا ماليا للعروس عندما يراها بحكم أنه قد كشف الحجب عنها، وبعد ثلاثة أيام يعود الرجل مع والديه ليؤكد قبوله ورغبته في الزواج، بحيث يحضر لعروسه هدية تعبيرا عن ذلك فتكون الهدية خاتما أو شيئا آخر (لباس، حذاء، عطر...) وتتفق الأسرة بعد ذلك على

1- الكوستيم: الكلمة فرنسية، وتعني البذلة المتكونة من سروال وقميص.
2- المعارك (المسمن): نوع من الخبز يصنع من الدقيق يقلي ثم يضاف لها العسل.
3- الشخشوخة (الرقاق): أكلة شعبية تضع على شكل دوائر من الدقيق تطهى على نار هادئة، تقسم إلى قطع صغيرة ويضاف لها التمر والسمن.
4- الحد: الفاصل بين قطعة زراعية وأخرى.

"الشرط"[1] الذي يقدر بـ (5 أو 6 ملايين سنتيم + صيغة ذهب) إذ هناك من لا يحدد المهر علنا بحيث يقول إن المهر هو المصحف ويقصد بذلك أخذ نصيبها الشرعي دون زيادة أو نقصان. وبعد مرور شهر على الأقل تتفق الأسرتان على موعد الخطبة أو"الفاتحة" فيشتري العريس ما يسمى "الجهاز"[2] والخاتم إضافة إلى قالب الحلوى، وذلك بدعوة الأهل والأقارب الذين يذهبون معه في السيارات، وفي المقابل تحضر العروسة نوعا من الألبسة "كسوة" تعطى لأم العريس وجدته وأخته الكبيرة وبعد أن يتبادلا الخواتم توزع مع القهوة حلويات عصرية "كالبقلاوة"[3] وغيرها مع حلويات تقليدية "كالخفاف"[4] "المسمن" أما الرجال في الخارج فيذهبون إلى المسجد أو يؤتى بالإمام لتقرأ (الفاتحة) على نية التوفيق وبذلك يمكن اعتبار أن المرأة قد أصبحت زوجته شرعا، وعند عودة أهل العريس يقسم قالب الحلوى إلى نصفين متساويين، نصف لأهل العريس والآخر لأهل العروس كما يقدم لأهل العريس صينية بتشكيلة متنوعة من الحلويات العصرية والتقليدية.

مرحلة الزواج:

يمكن القول أنه لا يوجد تعريف عام ومقبول للزواج، نظرا للاختلاف الشديد بين الثقافات في تنظيمها الاجتماعي للعلاقة النوعية بين الذكور والإناث لكن هذا لا يستدعي عدم وجود تعريف ولو بسيط له بحيث يمكن اعتباره على وجه العموم أنه تلك العلاقة الجنسية المقررة اجتماعيا بين شخصين أو أكثر ينتميان إلى جنسين مختلفين، ويتوقع أن تستمر لمدة أطول من الوقت الذي تتطلبه عملية الحمل وإنجاب الأطفال وتكاد تكون العلاقة الثابتة هي أهم ما يميز الزواج في مختلف الثقافات طالما أن الزواج لا يتساوى في امتداد مع الحياة الجنسية العارضة أو التي لا يقرها القانون أو العرف[5] وبما أن هذه العلاقة تقتصر على كل من الزوج والزوجة فلا شك أن لكل منهما انطباع خاص في كيفية التحضير لهذه المناسبة، أو بالأحرى المكانة الجديدة في المجتمع.

التحضير لزواج رجل في منطقة (أولاد عيسى):

في هذه المنطقة وكما سبق الذكر، كان الرجل لا يتعرف على زوجته إلا في ليلة الزفاف، فالأبوان هما من يختاران العروس ، أما حاليا فالرجل هو من يتكفل بعرسه بحيث يشتري "الشومبرا"[6] أو (الجهاز) وكذلك الذبائح أو "الكباش" وتقوم الأم بمساعدة النسوة بتحضير الطعام "الكسكس" قبل الموعد بشهر على الأقل، وتقام دعوات للأقارب والأحباب بواسطة بطاقات الدعوة، وبذلك يحضر الكل لمشاركته الفرحة وذلك باجتماعهن وغنائهن وابتهالاتهن المصحوبة بالزغاريد المتعالية.

وتقول الخالة (حورية 58 سنة) أن يوم الثلاثاء يذهب الرجال فقط لأخذ الكبش مع السكر والحلوى، أما إذا لم يأخذوا "الكبش" فيقدمون مبلغا من المال (حوالي ثلاث ملايين) قبل موعد الزفاف بشهر أو أكثر ويسمى "بدراهم العشا" كما يكون ذلك بعد الزوال (بعد صلاة الظهر) (بين 13:00 و16:00)، ثم يوم الأربعاء يكون مخصص للحناء وهنا يوجد اختلاف بين القديم والآن فقد أصبحت الحناء في أي يوم من أيام الأسبوع.

1- الشرط: هو المهر الذي يقدم للمرأة.
2- الجهاز: حقائب يوضع فيها أشياء العروس.
3- البقلاوة: طبق معروف في الجزائر يحضر بطبقات من العجينة والكوكاو تطهى ثم تعسل.
4- الخفاف: دوائر متوسطة من العجين تقلى في الزيت.
5- محمد عبده محجوب، التراث الشعبي، دراسة ميدانية في مجتمعات الريفية وبدوية، دار الوفاء للطباعة والنشر ط 1، 2007م،ص146.
6- الشومبرا: مستلزمات الغرفة من خزانة وسرير وطاولات زينة.

وفي اليوم التالي (الخميس) يذهب كل المدعوين لجلب العروس من بيت أهلها بالزغاريد و"الزرنة"[1] "الكورتاج "[2] مع تزيين سيارة العروس بشتى أنواع الورود والزينة.

وعند إحضار العروس إلى بيت زوجها يؤخذ هذا الأخير إلى الحمام رفقة أصحابه فيقومون بجولة قصيرة، وعند عودته في المساء يلبس كوستيم مع برنوس يكون لأبيه أو صاحبه بحيث يكون ذا لون أبيض، وبعد العشاء تبدأ مراسيم الحناء التي يقوم بها أحد أصحابه أو من له دراية بطريقة وضع الحناء والتقدام. قالت خالتي (مليكة 52 سنة) وهذا غناء في عرس أخيها قالت:

محمد محمد صلو يا لمة عليه سيدنا وحبيبنا ويربح من صلى عليه

خويا قاعد فوق الكرسي وصحابو عشرة يدورو بيه خدو بنعمان ضاوي ولا دم العيد رشوا بيه

خويا برنوس الحرير ويا سعد اللي قاستو ما يتقطع ما يحول وما ينقص من سوماتو

خويا خويا يا الزين ويا مزين شيعاتو يرفد عين ويحط لاخرى شاف اللبة جاتو

وفي نفس الوقت تكون البنات العاتقات فوق سطوح المنزل يزغردن على العريس مع كل تقديمة، وعند الانتهاء من الحنة تقدم صينيات من البقلاوة والشاي لكل الحاضرين من أصحاب وأحباب، أما بالنسبة لليلة الدخلة فتكون في نفس اليوم (الخميس) بحيث يدخل العروس على عروسه، ويتم الإشهار لها في الصباح أو بعد مرور وقت قصير، وتكون الفرحة مصحوبة بتوزيع الحلويات والحليب.

التحضير لزواج المرأة في منطقة (أولاد عيسى):

تبدأ العروس بعد الخطبة بتحضير "الجهاز" أو "التروسو"[3] وبعض الأشياء التقليدية الأخرى "كالمسلول"[4]، الشهرة[5]...، وقبل الحديث عن هذا لا ننسى أنه في القديم كانت لديهم عادة "الربط" وذلك لعدم توفر الأمن في المنطقة، والخوف على شرف بناتهن حيث تقوم الجدات بربط الفتيات إما "بالقفل" أو "المنسج" مع قول كلام كثير لا يتوفر منه لدينا سوى بعض العبارات كقولهم (بنتنا جبل ووليدكم حبل) مع ذكر اسم الابن والبنت فلا يستطيع أحد فك ذلك الرباط إلا بحضور تلك الجدة، ويكون هذا مع اقتراب موعد الزفاف حيث يتم إحضار رأس الكبش الذي يحضره أهل العريس، فبعد غسله يوضع تحت رجلي العروس ويفصل إلى قسمين فيتم بذلك فك الرباط، وهناك طريقة أخرى للفك وتكون قبل إخراج العروس من بيت أبيها بوقت قصير، حيث تقوم الجدة بتحضير حبة بيض من قبل بتسبيعها[6] على العروس وبعدها تقوم بإسقاطها داخل فستان الزفاف من فوق وتمسكها الأم أو الخالة من الأسفل بعد كسرها ثم رميها.

دون أن ننسى أن هذه الظاهرة لا تتعلق فقط بالمرأة بل هي متعلقة بالرجل أيضا بحيث يكون ربطه بالسحر، إما أن يمر فوق ماء مسحور فيكون فك ربطه بالرقية وذلك قبل الدخلة أو بعدها.

أما حاليا فقد تلاشت هذه العادات بحيث أصبحت مجرد خرافات لا احد يؤمن بها.

1- الزرنة: هي فرقة موسيقية تستعمل الآلات مثل الطبل، المزمار...
2- الكورتاج: موكب من السيارات.
3- التروسو: ألبسة تقليدية وكل مستلزمات المرأة من أفرشة وأغطية.
4- المسلول: غطاء مطرز بخيوط ملونة.
5- الشهرة: وسائد وأغطية.
6- التسباع: وهو تمرير البيضة سبع مرات ذهابا وإيابا على منطقة القلب.

وبعد التحضيرات التي تكون قد قامت بها العروس من شراء لمستلزماتها من لباس وأغراض البيت وغيرها، يأتي الأسبوع الذي يتم فيه الزواج فتقوم الفتيات بتجهيز العروسة وذلك بأخذها إلى الحمام وتأخذ معها الحناء وصينية من الحلوى لتوزيعها على من تجدهم هناك، ثم تقوم صديقاتها بوضع الحنة لها مع الزغاريد، مع العلم أن العريس هو من يقوم بدفع تكاليف الحمام للعروس وصديقاتها مهما بلغ عددهم.

ويوم الثلاثاء (يوم الكبش) الذي تستعد فيه العروس وأهلها لاستقبال أهل زوجها بحيث يقوم الرجال بالذبح، في حين تقوم النسوة في البيت بقلي اللحم وتقديمه للحاضرين من أهل العريس، مع العلم أنهم يتركون قلب الكبش ويعطى للعريس ليؤكل ليلة الدخلة.

وفي اليوم التالي (الأربعاء) تذهب العروس للحلاقة لتسريح شعرها مع أختها أو بنات الخالة في حين تكون النسوة منشغلات بتحضير الغذاء (الفطور) من أطباق الشربة، الجواز...، وبعد الفطور يتم تصديرها بشتى أنواع الملابس الفاخرة، مركزة على الجبة القبائلية بحكم جذورهم القبائلية، وكذا الكراكو[1]، الفرقاني[2]...، وتتحلى بمختلف الحلي من ذهب وفضة حسب الألبسة.

وفي نفس الوقت تقوم الفتيات بتوزيع الحلويات كالمقروط[3] مع الشاي...الخ، وبعد إنهاء التصديرة يقوم الأهل بإطعام المدعوين بالكسكس مع اللحم والمشروبات الغازية.

وفي الليل يتم وضع الحنة للعروس مع اجتماع العمات والخالات والصديقات مع ارتدائها جبة قبائلي أو الفرقاني. ثم تبدأ مراسيم الحنة. بجلب الحنة التي تخلط في الصحن مع السكر والملح لكي تكون كل أيامها حلوة، مع مزجها بأربعة بيضات دون زيادة أو نقصان بعدم كسرها. ويمزج الكل بماء الزهر وتوضع لها الحنة في كفها بحيث يشترط في المرأة التي تقوم بالحنة ألا تكون أمها أو امرأة زوجها ميت أو مطلقة أو متزوجة مرتين، ومن نفس الحنة تضع الفتيات العازبات لكي يتزوجن بعدها حسب اعتقادهم.

أما اليوم فباقي الحنة التي تضعها العروس توضع مع الماء وتسقى بها النباتات الخضراء مع الاحتفاظ بالصحن، ومنها ما قالت الخالة (وحشية 45 سنة) بمناسبة زواج ابنتها الصيف الماضي:

محمد محمد صلوا يالمة عليـــه سيدنا وحبيبنا ويربح من صلى عليـــه.

البنية يا البنية يا مفتاح البيـــت قد ما تخدمي على الميمة ما تقوليش عييت.

حنة حنة يا الحنينة جبناها من الانجليز تحني بها البنية على خواتم من اللويـز.

أعلاي أعلاي يا النجمة كيما علاو النجوم دارك دارك يا البنية دار الميمة ما تدوم.

أما يوم الخميس فتستعد العروس باكرا فتذهب لتسريح شعرها ووضع ماكياج التجميل، وتكون بعد ذلك في انتظار الساعة التي تزف إلى زوجها، وعند قدوم السيارات يقوم أبناء عمها وأخواتها بإخراج جهازها ، ثم تخرج هي تحت جناح وليها الذي يلبسها البرنوس ويدخلها السيارة، وتأخذ معها صينيات الحلوى التي يفوق عددها ثمانية أنواع والمتكونة من مقروط اللوز، بقلاوة، المشوك، ... وحلويات أخرى عصرية وتقليدية.

1- الكراكو: زى تقليدي مصنوع من القطيفة.
2- الفرقاني: لباس تقليدي ذا أصل قسنطيني.
3- المقروط: من الحلويات التقليدية تصنع من الدقيق الخشن بإضافة التمر ثم تقلى وتسعل.

وعند وصولها إلى بيت زوجها تقابل عند الباب بكأس من الحليب الممزوج بالسكر دلالة على صفاء قلوبهم اتجاهها، إضافة إلى رمي الحلوى فوق رأسها فيقوم الأطفال بتجميعها، ثم إدخالها إلى غرفتها، وبعدها تباشر بالتصديرة، وفي نفس الليلة تتم الدخلة، وفي الغد يأتي أهلها لتهنئتها، ويحضرون معهم (السبوع) وهو عبارة عن (طعام (كسكس)، لحم دجاج، المسمن، البيض، الطمينة[1]، الحلوى...) ويكون أهل العريس في انتظارهم محضرين لهم الغداء (الفطور) أم الذين ظلوا معها ليلة زفافها فيذهبون باكرا ولا يحضرون الغداء.

وبعد مرور أسبوع من العرس يتم دعوتها مع زوجها وأهلها المقربين على الفطور كذلك مع تقديم هدايا بسيطة لهم.

وتمر الأيام ويكوّن الزوجان أسرة بإنجاب الأولاد ويعيشان هذه الحياة حلوها ومرها، لكن رغم هذا فالنهاية آتية لا محالة فلكل بداية نهاية، ونهاية الإنسان تكون مع موته، كما يقول المثل "هي كاس لكل الناس" صغيرا أم كبيرا، إلا انه تبقى هنالك شعائر وعادات رغم هذا المصاب.

الجنائز:

ليلة يموت الميت، وبعد انتشار الخبر يتسارع الأهل والأقارب والجيران وكل معارفه لأهل هذا الميت لتعزيتهم وذلك بقول عبارات "عظم الله أجركم" " ادعوا له بالرحمة" "ربي يصبركم" في حين يعم الحزن بكاءً وعويلا، ففي ذلك الوقت كان " النداب"[2] باللغة الشعبية لهذه المنطقة، فالنساء يندبن أمواتهم ويمسكن شعورهم ويصرخن بصوت مرتفع، في حين يتكفل بعض الأقارب والجيران بشراء "الكفن" للميت وحفر القبر وتهيئته له وفي الوقت نفسه يقوم شخصان من الأقارب بتغسيل الميت، الرجال يغسلن الرجال و النسوة يغسلن النسوة، ويشترط فيهم أن يكونوا أهل ثقة وذووا طهارة تامة، وفي عملية التغسيل يوضع الميت على قطعة خشبية فلا يوضع على الأرض إكراما له، وتتم العملية بالترتيب: بداية بالإبطين والعانة ثم يمرر الماء على كامل جسمه ويوضئ الوضوء الأكبر ليقابل ربه بطهارة تامة، أما بالنسبة للماء والصابون الذي غسل به فيترك ليذهب في المجاري (فلا يحتفظ به) لأن هناك من يستعمله كأداة في السحر، ومن جهة أخرى يكون الجيران بصدد تحضير الأكل (الغداء أو العشاء المكون من المعارك (المسمن) وهذا يسمى "بعشاء الميت" ويكون ذلك طيلة سبعة أيام لاعتقادهم في ذلك عدم إجازة إشعال النار في البيت الميت طيلة الفترة وهذه عادة لا زالت قائمة ولم تنقطع بعد.

بعد غسله وتكفينه يوضع في النعش (صندوق الميت) ويدخل الأهل والأقارب لتوديعه بالزغاريد وذلك إذا كان الميت قد أصيب بمرض اطرحه الفراش مدة طويلة من الزمن إذ يعتبر بذلك شهيدا، ثم يحمل إلى المقبرة، وفي اليوم التالي يذهب الكل لزيارته (يصابحو القبر) أي يذهبون في صباح ويأخذون معهم المسمن ويوزعونه على من وجد أمامهم في الطريق كصدقة جارية على الميت، فيقومون كذلك بتوزيع المحكوكة[3] مع التمر على كل الحاضرين في البيت، وبعد ثلاثة أيام يتم إخراج صحون من الكسكس واللحم على كل الجيران بشرط أن لا يبقى شيء من هذه المأكولات في البيت.

الأولياء الصالحون في منطقة (أولاد عيسى):

1- الطمينة: دقيق خشن بحمص مع العسل والسمن.
2- النداب: المبالغة في البكاء والصراخ.
3- المحكوكة: أكلة شعبية مكونة من الدقيق مع الزيت والملح وتطهى في الطاجين.

بدأت طقوس زيارة الأولياء تنقرض تحت وطأة التحريم الذي وقع عليها من قبل الجماعات الإسلامية من جهة ، و بسبب تنامي الوعي الاجتماعي من جهة أخرى . أما في الماضي فقد كان الاعتقاد في بركة الأولياء و كراماتهم منتشرا بكثرة، لتوفر أضرحة وزوايا عديدة يقصدها الزائرون للتبرك بها والتي أصبحت اليوم مجرد معالم دينية أثرية نذكر منها: - زاوية سيدي أحمد بلعباس: تقع بجبل بوراق ببلدية سيدي داود.

- زاوية سيدي علي بن احمد بن محمد البومرداسي: تقع ببلدية تيجلابين.
- زاوية عبد الرحمان الثعالبي: الواقعة ببلدية يسر.

بالإضافة إلى مسجد يقع في غابة سيدي امحمد بن عباس المسمى بزموري، وعدد كبير من الأضرحة ، منها على سبيل المثال :

- ضريح سيدي المجني يقع قرب البحر ببلدية دلس.
- ضريح سيدي الحرفي الواقع بالقصبة السفلى ببلدية دلس.
- ضريح سيدي البخاري الواقع بالقصبة العليا ببلدية دلس.
- ضريح سيدي إبراهيم المطل على البحر الواقع شمال شرق مدينة دلس على نتوء صخرية.

أما بالنسبة إلى منطقة (أولاد عيسى) فالضريح المعروف عندهم هو ضريح سيدي "عمر الشريف" الواقع على أعالي جبال قرية سيدي داود، على حد قول الخالة (حورية) أنه جدهم الذي ينتمي إلى المرابطين، بحيث كانوا يذهبون لزيارته وذلك في موسم محدد (مرة في السنة) ويؤدون طقوسا هناك (كالزردة) أو الوعدة، بحيث يؤخذ عجمي[1] أو كبش مع الكسكس ويقومون بقراءة القرآن والمدائح الدينية، و ثمة مدرسة ملحقة بالضريح يقصدها الطلبة لحفظ القرآن ، كما أنها تقوم بإعالة المساكين، لكن اليوم وبمرور الوقت وتغير الأحوال زال كل شيء فقد توقف الطلبة عن الدراسة وأغلقت تلك الزوايا خوفا من الجماعات الإرهابية الإسلاموية ،خاصة و أنها تقع في مكان منعزل،فأصبح الناس يتبرعون بالأموال في مكان الوعدة للمحتاجين مباشرة ، ومن أراد الزواج وليس له معين يتصل بإمام المسجد ليجمع له الإعانة.

حركة الفصول وما يترتب عنها من ممارسات:

نستهل حديثنا عن بداية السنة الميلادية أو رأس السنة، ويكون ذلك بشهر جانفي باعتباره أول أشهر السنة، حيث أصبح الناس يحتفلون به على شبه الطريقة الغربية، بتحضير قوالب الحلوى المملوءة بالشموع وتبادل الهدايا فيما بينهم أو الخروج للشوارع والسهر خارجا، والبقاء إلى منتصف الليل والعد بالثواني والتمني بأمنيات جميلة لاستقبال سنة جديدة وسعيدة، أما العمة (خيرة 59 سنة) فتقول الاحتفال بهذه الطريقة وبهذا اليوم ليس موجودا عندهم ، فهم يحتفلون باليوم الثاني عشر من هذا الشهر فقط والذي يطلقون عليه اسم (يناير) إذ يقومون بتحضير سبع أنواع من المأكولات التقليدية، طعام (كسكس)، بغرير(غرايف)[2]، المسمن، الخفاف، ليدخل العام خفيفا عليهم، التمر، البلوط، القسطل (يشبه البلوط العادي)، أما في العشاء فيطبخون الكسكس مع اللحم أو الرشتة[3] كما يحتفل كذلك برأس السنة الهجرية الذي يسمى بعاشوراء أي اليوم العاشر من شهر

1- العجمي: الثور.
2- غرايف: دقيق سائل متكون من دقيق وماء وملح.
3- الرشتة: (من المعجنات) عبارة عن خيوط عجين رقيقة تحضر مثل الكسكس. و هذه الممارسة امازيغية عريقة و شائعة في شمال إفريقيا كلها ، مع اختلاف طفيف في بعض الممارسات ن التي لا تغير من رمزية طقس رأس السنة الزراعية .

محرم إذ يتم تحضير طبق القديد والذي هو عبارة عن اللحم المجفف المتروك من العيد (عيد الأضحى) ومن اليوم التالي يطبخون الشخشوخة باللحم بعد تأديتهم للصيام في اليوم التاسع والعاشر من هذا الشهر كما يقومون بإخراج (العشور) أي زكاة المحاصيل التي يدفع منها للمحتاجين عشر المحصول من قمح أو شعير أو زيت ..إلخ ، بعد مرور حول عليها، وعادة ما يتم ذلك بقراءة القرآن والمدائح الدينية في المساجد.

أما بالنسبة للسنة الميلادية فباقتراب موسم الحصاد الذي يكون في أواخر شهر جوان يقوم الفلاحون من رجال ونساء لجني المحاصيل الزراعية بمختلف أنواعها ، و فيما يتولى الرجال أمر الحصاد و العمل في الحقول ، تقوم النسوة بتحضير أكلة شعبية خاصة بهذا الموسم وهي (الروينة[1] والرمان) وتقدم للفلاحين مع الغناء أما ، اليوم فقد أصبح الحصاد يتم بالآلات المتطورة الضخمة لتسهيل العملية في مدة زمنية قصيرة.

وبعدها يأتي شهر رمضان المعظم الذي ينتظره جميع المسلمين طيلة السنة لانتهاز هذه الفرصة للصيام والعبادة و التقرب من الخالق.

و رمضان شهر استهلاك واسع ، لذا تجد المسلمين يتنافسون في تحضير جميع مستلزمات هذا الشهر (شربة فريك، توابل، لحوم...)، ومن بين عادات هذا الشهر فاليوم الذي يصوم فيه الطفل لأول مرة تقوم الأم بإفطاره على الماء أو الحليب مع السكر مع وضع قطعة من الحلي داخل الكأس سواء كان ذهب أو فضة وهناك من يقوم بتفطيره على بيض مطبوخ مع وضع قطعة حلي (خاتم فضة) تحت لسانه وذلك لتحفيزه على صيام هذا الشهر وينتهي شهر رمضان باحتفال بعيد الفطر، سمي بذلك لأنهم قد فطروا بعد صومهم، فيقومون بتحضير أنواع عديدة من الحلويات، مع الخروج لزيارة الأهل والأقارب وبعد مرور شهرين ونصف تقريبا يحين موعد (عيد الأضحى) اقتداء بسنة سيدنا إبراهيم، يقوم فيه الناس بذبح أضاحيهم بالفرحة الكبيرة وبزيارة الأهل والأقارب.

وهكذا تكون الدورة السنوية للإنسان.

1- الروينة: أكلة شعبية تضع من القمح بعد تحميصه وطحنه مع إضافة الماء الدافئ والسكر.

الفصل الثاني

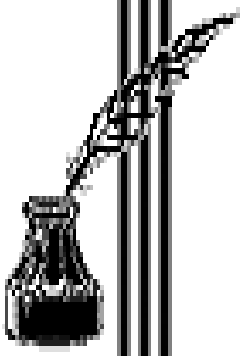

البوقالة كشعر نسوي

1- تعريف البوقالة
2- جذور البوقالة
3- طقوس لعبة البوقالة في بومرداس حاليا (وصف وتحليل)

تعريف البوقالة:

إنّ البحث في أصل كلمة "بوقالة" لن يدلنا على الاستخدام الفعلي لها، إلاّ أن المتأمل فيها ككلمة يرى أنها قد تكون معربة عن لغات أخرى لأنّها موجودة في قواميس لغات أخرى، وقد كان حضورها المتعدد حاملا لمعنى واحد وهو القلة المصنوعة من الزجاج أو الطين، وبين هذا كله لم نجد لهذه الكلمة أي حضور في قاموس لسان العرب "لابن منظور" و هو ما يوحي أنها ليست ذا أصل عربي، إلاّ إذا كانت الكلمة مركبة تركيبا مزجيا –على حدّ قول الأستاذة فاطمة ديلمي في كتابها "لعبة البوقالة"- وبتفكيكها تعطينا كلمتين هما: أب وقلة والتي تعني صاحب أو حامل القلة وهي كلمة تحيل على اللعبة لأن فيها حمل للقلة. لذا فمن خلال الكلمة فإن أول شيء يتبادر للذهن أنها من العامية الشعبية الجزائرية، وليس من الضروري على الإطلاق اللجوء إلى القاموس لمعرفة معناها، فهي ببساطة تعني "حاوية مصنوعة من الطين، لها خاصية التبريد تستعمل لشرب المياه الباردة في الصيف علوّها من 8 إلى 12 سم وقطرها بين 13 و18 سم، والبوقالة لها حلقتين صغيرتين تدعى وذينات"[1].

والبوقالة كإناء لا يزال يحتل واجهات العديد من محلات بيع الأواني التقليدية المصنوعة يدويا، وذلك في جميع المدن الساحلية والداخلية الجزائرية، وقد يختلف شكلها اختلافا طفيفا من منطقة إلى أخرى، إلاّ أننا نظل نحتفظ بها وبوجودها عبر الزّمن باعتبارها جزء من أعماق أصالتنا.

وبالتالي فإن البوقالة كما يظهر من تسميتها هي ما يشبه القلة (La gargoulette)، فهما يشتركان في ميزة التبريد وذلك بفضل المادة التي تضع بها وهي **الفخار**، إضافة إلى هذا فإن كلمة بوقالة تعتبر من عائلة البوقال وهي ما يشبه المزهرية بلا حلقات، يستعمل كذلك لتبريد المياه. كما يمكن جمعها على بواقيل وبوقالات وتصغيرها بويقلة. وهو مصطلح يستخدم بكثرة في لهجة سكان العاصمة[2]. و فُضّلت كلمة بواقل سيراعلى لهجة المدن الداخلية ، لأنها تحظى بشعبية كبيرة.

وتطلق البوقالة اصطلاحا (في التراث الشفوي) على لعبة تراثية نابعة من قلب الأحياء الشعبية العاصمية تكون حاضرة في المناسبات الجزائرية، فهي محبوبة من طرف الجميع، إذ يتم ترديد مقاطع شعرية قصيرة تكون عادة من 4 إلى 6 أبيات، فهي بذلك رباعية، خماسية أو سداسية، واستثنائيا تكون ذات بيت واحد أو ثنائية، تحمل معاني متعدد خاصة بالحب والزواج والفراق والحزن...الخ. وتكون بإيقاع وتناغم مليئ بالصور والأصوات كما أنها مرتجلة ومنقولة شفهيا[3]. فهي بذلك تراث متداول منذ أجيال متعاقبة.

جذور البوقالة:

يقال إن أصعب الأمور هي إرجاع الحقائق إلى أصولها والبحث في تاريخها، وذلك لصعوبة تحديد حقيقة التاريخ لكونه لم يدوّن، فالفئة القليلة التي انكبت على تداول البوقالة لم تهتم بالأصل ولا بالمنبع الرئيسي لها فإذا كانت لديهم بعض المعلومات عليها إلاّ أنهم لم يتأكدوا منها كونها جزئية قابلة للتغيير والتحريف. ورغم انعدام المدّونات الخاصة بالبوقالة التي تحيلنا على هذه اللعبة إلاّ أنه ما يتأكد لدينا أنّ قائلها أو قائلتها مجهول.

من بين الدارسين للعبة البوقالة من حيث تتبع تاريخها واستنباط أهدافها نجد الباحث قدور محمصاجي المنحدر من الأسر العاصمية العريقة التي تربت وترعرعت في قلب القصبة العتيقة

1- قدور محمصاجي، لعبة البوقالة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2003، ص 19.
2- نفسه، ص 20.
3- قدور محمصاجي، لعبة البوقالة، ص 21.

وأعدّ في ذلك حصصا إذاعية قائمة بذاتها حول هذه اللعبة في الإذاعة الجزائرية مطلع السبعينات إلى الثمانينات، وقد حرص الباحث الذي أصدر كتابا حول هذه اللعبة لعام "1989" باللغة الفرنسية بعنوان (لعبة البوقالة؛ مساهمة في معرفة أحسن لهذه التسلية التربوية والشعبية) على تنبيه جمهور المستمعين إلى أنه لا يحق اعتبار اللعبة ضربا من حصص التكهن والشعوذة والتدجيل والعرافة عن طريق الماء.

وعلى غرار هذا نجد بن شنب الذي يقول: "أنّه لا يوجد تاريخ محدد للبداية الحقيقية للبوقالة"[1]، بمعنى أنه لا يمكن التوصل لحقيقة نهائية ومؤكدة لنشأة هذه اللعبة، وذلك راجع إلى عدة أسباب منها: وقوع الجزائر تحت وطأة الاستعمار الذي حاول طمس أدبنا الشعبي بشتى الوسائل، فقد تعرضت ثقافتنا الشعبية الجزائرية في النصف الثاني من القرن (20) إلى تغيرات متسارعة بفعل ما أصاب المجتمع الجزائري من تحولات لها أثر واضح على التواصل الثقافي بين الأجيال هذه الأسباب وأخرى جعلت المجتمع الجزائري يتسّم بعدم الاستقرار، وهو ما أثر بصفة واضحة على استمرار التقاليد الثقافية الموروثة وعلى نموها، وبكثافة غزو الوسائط الإعلامية التثقيفية والترفيهية الحديثة التي حلت محل الوسائط الثقافية الشعبية[2].

إلا أن هذا لا ينفي وجود آراء تتفق على إرجاع أصول وجذور البوقالة إلى الغناء الحوفي. هذا النوع من الشعر الذي شكل تنويعا عن الموشح الأندلسي ليصبغ بصبغة جزائرية، فهو بكمّه وكيفه يشكل قاعدة الكتابة الشعرية في الشعر العامي باللغة العامية، وفي جميع الأحوال الحوفي يمثل لعبة شعرية حيث أن مقطعه الأول يعود كل مرّة حين تبدأ الفتاة الأولى بأبيات بنفس المقطع الذي بدأت به الأولى وتكمل بأبيات أخرى وهكذا دواليك مشكلين مزيجا شعريا وموسيقيا[3].

فبن شنب كذلك اعتبر أن البوقالة مأخوذة من الحوفي (الدارجة التلمسانية) الذي هو عبارة عن شعر يغنّى من طرف فتيات يلعبن على الأرجوحة[4]. ومعنى ذلك أن البوقالة قد أخذت من مقاطع أو نصوص الشعر الحوفي، لأنّها استطاعت أن تلبي وتستوفي المواضيع أو الأغراض المطلوبة. وربما يرجع السبب إلى تداول البوقالة في نفس الفترة التي كان فيها الحوفي حاضرا. إذ نلاحظ تشابها كبيرا إلى درجة التطابق خاصة في المواضيع ، كما يصل هذا التشابه إلى درجة وجود نفس الكلمات في كليهما، لذا أمكن القول أنّ بعض البوقالات هي مقاطع من الحوفي، وهذا مثال من الحوفي والبوقالة في نفس الوقت:

عنـــدي فنيّـق[5] والعشق مفتاحـه

كي يضرب ريح الغرب يتقرقبوا الواحـه

نمشي لجنان الحبيـب ونشم تفاحـــه

القارص ما ناكلـو نحمر خدودي بيـه

والشيخ ما ناخـدو في قاع البحر نرميه

1- يلس شاوش مراد، الحوفي، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط1، بن عكنون، الجزائر، 1986، ص 40.

2- عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية، التاريخ والقضايا والتجليات، دار أسامة للطباعة والنشر، 2006، ص 36-37.

3 - Ben Cheneb, Chansons de l’escarpolette, Revue Africaine, n° --- année 1945 ; p 90-93.

4- نفسه، ص 91.

5- فنيّق : صندوق صغير مصنوع من الخشب.

ناخذ شاب صغيــر نصبر قلبي بيــه.[1]

فكل مقطعين أو ثلاثة يمكن أن تشكل بوقالة لأن هذه الأخيرة عامة لا تزيد عن خمسة أبيات شعرية، وكمثال على البوقالة نذكر:

دموع تطيح جمر ودموع تطير ياقوت

عام يجي خضر وعام بيض يفوت

واللي عندو الزهر حبو عمرو ما يموت

ونجد رأيا آخر يمثله يوسف ولد عيسى الذي يؤكد فيه أنّ الحوفي يغنّى والبوقالة تحكى، أما بالنسبة للهادي فلسي فقد أيد أيضا هذا الرأي المتمثل في أن البوقالة تحكى ولا تغنّى، وهذا هو العنصر الأساسي الذي يميز بين الاثنين، وهذا باعتبار أن مقاطع الحوفي " مهمتها الأولى التي أنشئت لها هي الغناء"[2] لذا فهي ستعتمد بالضرورة على الأدوات الموسيقية وعلى اللحن.

وقد عرف الحوفي التلمساني في البداية بفضل دراسة قدمها الدارس الفرنسي جورجي مارسي ، على صفحات المجلة الإفريقية ، كما أنه معروف في البليدة وهران والجزائر لكنه بقي ذا أصل تلمساني، وهذه الأصالة تعود إلى فترة الزيانيين التي تميّزت بالتطور الثقافي والسياسي.[3]

و لا يمكن إنكار ارتباطها بالشعر الأمازيغي المعروف "بالإيزلي"، وذلك لما لوحظ عليها من شبه في بعض النقاط وإن كانت قليلة وسطحية بعض الشيء، إذ تظهر لنا بعد التعرف على هذا النوع من الأشعار أو عند ترجمته إلى اللغة العربية، فهو يعتبر "فن شعري أمازيغي مفرد جمعه "إيزلان" وهو كلمة جذرها –زلْ- وتذكرنا تاسعديت ياسين أنها كلمة تعني الغناء أو الإنشاد والإيزلان هي قصائد شعرية غزلية قصيرة تنشدها غالبا النسوة وأحيانا الشباب في بلاد القبائل والطوارق، والإنشاد يكون أحيانا مرفوقا بالموسيقى وذلك في الأعراس كما أنه يرافق المرأة في أعمالها"[4].

فمن خلال هذا القول يظهر جليا أن هناك بعض الاختلافات بين البوقالة وهذا الشعر (الإيزلي) لكنها اختلافات طفيفة، فالبوقالة في أبسط تعاريفها هي قصيدة قصيرة شفوية مرتجلة، فهي نتاج الموهبة النسائية، والتي تتم بإعمال الفكر بالدرجة الأولى وذلك تأملا في المستقبل القريب والبعيد على السواء.

أما فيما يخص الإزلان فالملاحظ على ما سبق ذكره أنه شعر ينشد من طرف النسوة أو الرجال، أما العنصر الذي يميزه كونه يقال باللّغة الأمازيغية حيث لا يتم التعرف عليه إلاّ بعد ترجمته إلى العربية، وهذه من الصعوبات التي تواجه الدارس لها غير العالم بتلك اللّغة.

و في ما يلي أنموذج من الإيزلي :

اسْتَدَرْت فَأَضعتُ الْوِشَـاح
لَمَّا رَأَيْت الْبَازَ عَلَى الْجَبَل

1- فاطمة ديلمي، لعبة البوقالة، الطقس والشعر والمرأة، المركز الوطني للبحوث في أعمال ما قبل التاريخ، 2009، ص 160.
2- العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، الجزائر، ج1، ص 237.
3- قدور محمصاجي، ص 24.
4- فاطمة ديلمي، ص 68-69.

يَا شَبَاب وَيَا صَبـــايَا
إِن الْحُب يَفْقِد الْعَقــلُ [1]

من خلال ما تناولناه يتضح لنا مجموعة من الفروقات بين الحوفي والبوقالة والإيزلي التي سنعرضها ملخصة على شكل نقاط في الجدول التالي:

الحوفي	الإيزلي	البوقالة
- لغة عامية (الدارجة) - ترافقه موسيقى - يغنّى - تقوله المرأة التي تسكن في المدن - من حيث الإنشاء لا يزال الخلاف قائم أكان من قبل الرجال أم النساء	- لغة أمازيغية - أحيانا ترافقه موسيقى - يغنّى وينشد - تقوله المرأة الريفية - يرافق المرأة في كل أعمالها أي لا يرتبط بالأعراس فقط	- لغة عامية - لا ترافقه موسيقى - تقوله المرأة في المدن - تقوله النسوة فقط - يحكى

لقد أوضح لنا الجدول بعض نقاط الاختلاف الموجودة بين أنواع الشعر الشعبي النسوي ولكن هذا لا يعني عدم وجود نقاط التقاء وتشابه بينهما، فكلها رسائل وجدانية تتحدث عما يجول في خاطر النسوة من شوق وحب اتجاه المحبوب، حيث تتحدى الأعراف والتقاليد، أمّا البناء فهو عبارة على قصائد قصيرة تتراوح بين البيت الواحد والأربعة أبيات كأنها برقيات خاطفة ربما لأنّ مساحة الحرية المتاحة لها محدودة جدا ، فهي في النهاية عبارة عن خواطر لما يجول في الفكر ومواساة للنفس عن غياب المحبوب وبعده عنها.

هذا بالإضافة إلى عنصر مهم جدّا يربط كل من الحوفي، البوقالة والإيزلي معا ، و هو مجهولية المؤلف. وهذا النوع من الشعر النسوي لا يرتبط بمناسبات الأعراس فقط إنّما في كل الجلسات الشعبية التي تجتمع فيها النسوة سواء كان في فصل الصيف أو سهرات رمضان.

وفي الأخير يمكن القول أن الشعر الشعبي الجزائري غني بعدة أنواع ويرجع الفضل إلى تعدد اللّغات والمناطق فهذا يخلق تنوعا في التراث الشعبي.

1- فاطمة ديلمي، ص 70.

طقوس لعبة البوقالة:

لقد ارتبطت لعبة البوقالة بالمرأة أو بالأحرى بالنساء دون الرجال لما فيها من مواضيع خاصة بها، ، إذ تجد النسوة يجتمعن في البيوت أو فوق السطوح تحت استضافة إحدى النساء حول أطباق الحلوى والشاي والقهوة وأصناف الحلويات اللذيذة كالبقلاوة وقلب اللوز والمقروط... بحيث تزين قعدتهن هذه اللعبة التي نلاحظ ازدياد شعبيتها كلما حلّ شهر رمضان الكريم أين تحتل مكانة حميمية وسط النساء العاصميّات والفتيات العازبات بالأخص اللواتي ينتظرن بفارغ الصبر هذه السهرات للاجتماع وسماع الفال في البوقالات.

فبعد خروج الرجال للسهر في المقاهي تعقد النسوة والفتيات النية بالاجتماع ليلا للسهر وأداء لعبة البوقالة. فتراهنّ يسرعن في ترتيب المطبخ وإعداد صينية الشاي الأخضر بالنعناع والزلابية... مع تحضير الأجواء المناسبة لهذه اللعبة رغبة منهن في التأمل خيرا من الأبيات الشعرية الرقيقة العذبة التي تتلى على مسامعهن من عجائز ومتزوجات. بحيث تجلس قائدة اللعبة متوسطة حلقة النساء أمام طاولة موضوعة فوقها البوقالة، إذ تبدأ اللعبة بتطهير المكان عن طريق تبخير الغرفة وذلك بوضع سبع بخورات ومجموعة أخرى من العناصر داخل نافخ على الجمر[1]. ثم تقلب البوقالة فوق الدخان المنبعث من النافخ، والقصد من التبخيرة هو تطهير المكان من الأرواح الشريرة، ومن التبخيرة نذكر:

بخرناك بالجاوي جيبي لنا الخبر من القهاوي

بخرناك بالقصب جيبي لنا الخبر بالغصـب

بخرناك بالحنة جيبي لنا الخبر من مزغنة[2].

ثم يعاد قلب القلة وتملأ بالماء بوضع حلي المشاركات فيها (تكون عبارة عن أقراط أو خواتم) وتبدأ اللعبة بالصلاة على النبي، كما تحرص النساء على عقد النية سرّا بالتفكيرفي شخص ما زوجا كان أو ابنا... وأهم ما يميز اللعبة هو ضرورة أن تعقد النساء، المستأنسات لمقاطع شعرية لطيفة المعنى، فلا تنال حظها من الأبيات إلا بعد سماعها "بوقالته" وتكشف بعدها إن أرادت عن اسم الشخص الذي أسقطت عليه نيتها.

1- فاطمة دليمي، ص 12.
2- نفسه، ص13.

على الرغم من هذا لا يمكن القول أن هنالك طريقة واحدة تؤدى بها البوقالة، وذلك وتأكيدا لقولنا هذا قمنا باختيار منطقة من مناطق بومرداس، حيث نزلنا عند إحدى العائلات التي كانت تؤدي طقوس البوقالة قديما ولا تزال تحتفظ ببعضها الآن لكن مع بعض الاختلافات، فروت لنا إحدى مخبراتنا ما تذكرته ومما كانت تفعله هي والفتيات صديقاتها في السهرة التي كانت تترأسها جدتها وخالاتها... إذ كن يجتمعن كلما سنحت لهن الفرصة في ذلك أو بطلب إحداهن، حيث يجلسن في فناء البيت ليلا حول مائدة الشاي والقهوة مع بعض الحلويات التقليدية وجلب ما يسمى بالبوقال، وهو إناء من الطين موضوع خصيصا لهذه اللعبة ويقمن بوضع الماء مع قليل من ماء الورود إضافة إلى أوراق الياسمين[1] أو الزهور للزينة، وتطلب بعدها الجدة من الفتيات وضع حليهن، ذهبا كانت أم فضة ، داخل البوقال ثم تبدأ اللعبة بالبسملة والصلاة على النبي، وتؤمر بعدها الفتاة الأولى بوضع يدها داخل البوقال وإخراج قطعة حلي (لا يشترط أن تكون صاحبة الحلي الذي تم إخراجه هي التي تأخذ فألها في البوقالة)، ثم تعقد تلك الفتاة النية سرا على شخص ما لتسهل لها تأويل البوقالة، إضافة عقد عقدة صغيرة بجزء من خمارها أو قطعة قماش أمامها وبعدها تستمع لفالها من البوقالة التي ستقولها الجدة.

وهكذا الواحدة تلو الأخرى حتى يتم إخراج جميع الحلي الموضوعة داخل البوقال وبهذا تنتهي اللعبة، مع ضرورة الاحتفاظ بذلك الماء الذي تذهب به الفتيات في منتصف الليل إلى الخارج ويقسم بالتساوي بأخذ كل واحدة مقدارا وترميه على بعد مسافة، وتقوم بفتح تلك العقدة التي وضعت بخمارها وفي نفس الوقت تستمع لأصوات في الخارج وتقوم بتأويلها كسماع أصوات حيوانات أو غير ذلك...

أما في الوقت الحاضر كما قالت لنا السيدة مليكة البالغة من العمر 52 سنة، القاطنة ببلدية أولاد عيسى إحدى بلديات بومرداس عند زيارتنا لها، أن البوقالات أصبحت تقدم في الأعراس فقط، حيث تكتب النصوص على قصاصات من ورق وتوضع في علب صغيرة مصنوعة من الورق مع حبة حلوى، أو في رزمات صغيرة من قطع قماش خاص، إذ توزعها العروس بيدها بعد انتهائها من التصديرة[2] على البنات العازبات فقط.

بعد التطرق لطقوس البوقالة في منطقة بومرداس ومعرفة أدائها، نلاحظ أنها وإن اختلفت قديما من منطقة لأخرى فهذا الاختلاف كان طفيفا، فنسبة اتفاقها أكثر من نسبة اختلافها ويمكن تحديد مواطن الاتفاق في النقاط التالية:

1- المكان والزمان: لقد بقي المكان الذي تجتمع فيه النسوة نفسه وهو أفنية المنازل أو فوق السطوح ، كما يبقى الزمان نفسه وهو الليل.
2- البوقال: أو الإناء الفخاري المصنوع من الطين الموضوع خصيصا لهذه اللعبة.
3- الملقي: أو القارئة التي تكون عجوزا مسنة أو إحدى النساء المتخصصات في هذا المجال.
4- المتلقي: تخص هذه اللعبة جنس الإناث فقط، لذا يشترط أن تكون الجالسات عازبات فقط، عدا النسوة المترئسات للقعدة.
5- النية: وهي شرط أساسي في اللعبة إذ يتوجب على النساء المشاركات عقدة النية على شخص من الأشخاص لتسهيل إسقاط معنى الأبيات.

1- ماء الورود والياسمين: ميزة العائلات الحضرية الثرية، إذ يكون لها عادة بستان فيه نباتات منزلية وعادة أشجار الليمون والياسمين ويضع ماء الورد بالتقطير (وفق طريقة تقليدية) خاصة في البليدة والقليعة ويمكن القول أن هذا قد امتد إلى بومرداس.

2- التصديرة: من عادات وتقاليد المجتمعات الجزائرية، وهي مجموعة ألبسة تقليدية ترتديها العروس ذهابا وإيابا فتعرضها على الحاضرين.

إضافة إلى نقاط أخرى كالبسملة التي لا تخلو منها القعدة البوقالاتية، وإبريق الشاي والقهوة والحلويات التقليدية... أما إذا قارنا كل هذا بما آلت إليه البوقالة وما هي عليه حاليا فنجد أنها تختلف تماما، حيث تم استبدال البوقال بالعلب والزمان الذي خصص بالأعراس فقط، كما تم الاستغناء عن العنصر الأساسي وهو الملقي إذ أصبحت تكتب البوقالات على قصاصات من ورق.

كما تجدر بنا الإشارة إلى جانب آخر وهو ظهور البوقالات على صفحات الجرائد وحتى على أغلفة بعض المنتوجات الاستهلاكية وهذا دليل على تغير نمط تفكير الناس حسب تغير الأزمنة، فقد مس التطور كل الجوانب بما فيها العادات والتقاليد إذ أصبح الناس يميلون إلى السهولة في إيجاد الأشياء فلا يُعملون أذهانهم ولا يتعبونها مع أن هذا لا يمكن أن يوصف بالتطور وإنما هو تخلي عن عادات وتقاليد هم في غفلة عنها، زيادة على ذلك فإن الناقلين لهذه البوقالات والحافظين لها هم في تناقص مستمر ولا يوجد بذلك من ينقل عنهم عن طريق الحفظ.

بل وأصبحت البوقالات تنقل من الكتب كما يمكن تحميلها من الانترنت بطريقة أسرع لا تستدعي الحفظ والتعب فلم يبق للبوقالة سوى معنى التفاؤل بالمستقبل بعد أن اندثرت طقوسها الأصلية .

و على الرغم من زوال تلك الطقوس، فإن وجود البوقالات على أغلفة المنتوجات الاستهلاكية مثلا تجلب انتباه المشتري خاصة من غير الحفظة لها، إذ تجدهم يعقدون النية ويقرؤون تلك البوقالة ويأملون بها خيرا ،كما نجد أن هذه الأساليب لوضع البوقالات في نشرها في الجرائد والتلفزة ...وغيرها في شهر رمضان جعل من البوقالات مجلرد أدعية يُنتظر أن تكون مستجابة، خاصة لدى من يؤمن بها إيمانا شديدا، و لكنها في كل الأحوال تبقى رمزا للتسلية لا أكثر وفأل خير بالمستقبل.

كما يمكن أن نرى في هذا الأمر نوعا من سلعنة التراث، إذ أدى الانتقال إلى اقتصاد السوق، إلى إفراغ الممارسات التراثية من طقوسها وبعدها السحري وجعلها مجرد وسيلة للإشهار والتسويق.

الفصل الثالث

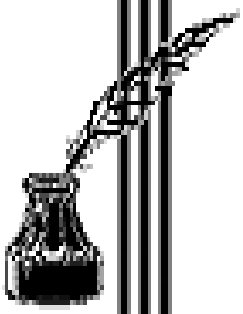

شعرية البوقالة

1- موضوعات البوقالة
2- الصورة الشعرية
3- الإيقاع (أوزان – قوافي –بنيات)

موضوعات البوقالة:

بما أن البوقالة نتجت في محيط شعبي وتخص الفئات الشعبية فقد حوت مواضيع كثيرة ومتنوعة، وهذا عنصر أساسي فيها إذ لا تكاد تخلو أي بوقالة من موضوع معين، لكنها في النهاية ترمي إلى هدف واحد بالرغم مما ورد فيها من مواضيع ووصف للحياة الاجتماعية اليومية ومن وصف للمرأة المثالية جمالا وخلقا وأدبا... دون أن ننسى الرجل الذي كان له أيضا نصيب فيها. كما تعرضت لموضوع الحب من لقاء وفراق... وهو حب عذري دون أي مجون واضح والبوقالة لم تهمل كذلك الجانب الديني فقد يذكر فيها اسم الله والنبي عدة مرات والإيمان بالقضاء والقدر وغير ذلك.

1/ الحياة الاجتماعية: البوقالة مرآة عاكسة لمجتمع ثقافي بكل أطره، فقد نشأت وتطورت في محيط إسلامي خاصة بعد احتكاك الثقافة الجزائرية بالأندلس الذي نتج عنه تنقيح لبعض الفنون والثقافات فقد استطاعت بذلك إعطاء بعض الصور المعبرة عن تلك الحياة الاجتماعية اليومية، فهي إحساس عن شعور الفرد الداخلي اتجاه الدين والمجتمع وتسليمه بالقضاء والقدر خيره وشره، وبكل ما تحمله الحياة من مشاكل وهموم، أفراح وأقراح وتقلبات وتحولات وهذه الأمثلة من البوقلات خير دليل على ذلك فقد جسدت البوقالة جانب الفرح والسعادة.

مثل1: الطير اللي طارلي ياك صبتوا
قالي منك هذا الجفا ومنك كل لسباب
فرحو لي سعدي تسقم وطيري راه نصاب.

مثل2: خيوط اللّيل ذابت وشعاع الصباح بان
واللي زمان غــابت ليوم تبان
اسقم الزهر والســـعد ازيان.

* كما صورت لنا جانب الخوف والألم:

مثل1: طفات الشمعة خلاتني للظلمة
وراح لحبيب الغالي بلا ما قال كلمة هذا زهري
حتى في الكبدة نلقى العظمة.

مثل2: بعتتلك سلامي في سما لزرق بعتتلك دموع
في القلب تحرق والله ما دريت هذا الحب اللي
بيناتنا يتفرق

أمّا عن تقلبات الحياة وتبدلاتها:

مثل: يا داري الأرض اليابسة ترجع خضرة
ياداري الأرض اليابسة ترجع غدير
يبدل ربي الساعة و تجي ساعة الخير

ولذا فالملاحظ أن الحياة الاجتماعية أخذت نصيبا معتبرا ضمن موضوع البوقالات لأن الحياة في تغير مستمر فهي غير ثابتة كما أنها مليئة بالأسرار والمفاجئات.

2- المرأة: لقد أخذت المرأة الجزء الأكبر من البوقالات حيث كادت أن تطغى عليها كليا، فقد تفردت فيها بوصف جميل كونها العنصر الفعال في المجتمع وذلك من خلال عملها ونشاطها ومكانتها فيه.

إذ وصفت بالغزالة في جمالها ووصفت بالحمامة في رقتها وتوازنها وصفات أخرى كثيرة متعددة، دون تجاهل الجانب الأخلاقي والديني بإعطاء الصورة المثالية لها، ومن بين البوقالات التي تناولت موضوع وصف المرأة نذكر على سبيل المثال:

المثال1: عينك عقاشة وخدودك مشماشة

نشوفك ياعمري ولا نتغاشى.

المثال2: حمامة يا حمامة يا ساكنة السطوح

نبيقك بالسلامة وعولت وين كاين المكتوب نروح.

كما وصفت المرأة كذلك بالكوكب والقمر والشمس والنجوم حيث كان يأتي هذا الوصف على شكل كناية عن الجمال الفائق للمرأة وهنا تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة جدا وهي وجود تداخل كبير في بعض البوقالات بين موضوع الحب وموضوع المرأة إذ ينتقل فيها من وصف الحب إلى وصف المرأة تعبيرا عن شدة التعلق بها وهذا مثال على ذلك.

مكان البدر خليتــك ملاك الخير سميتك

وعزيزة وغالية سميتك وبعيد الفطر هنيتك.

الرجل: و للرجل من البوقالة نصيب ومكانة هامة ، فقد وصف من كل النواحي سواء كان ذلك في هيئته، جماله أخلاقه أو في معاملاته وتصرفاته فقد كان هذا الوصف عادة من طرف المرأة التي كانت تصفه كما تراه وتحس به وهذا يقودنا إلى وجود تداخل كذلك بين موضوع الحب والرجل من أمثلة ذلك:

إذا أنت قفطان أنا قفلة فيك وإذا أنت محبس أنا وردة فيك وإذا أنت تبغيني أنا نموت عليك.

حيث نجده أيضا في بعض البوقالات يتصف بجماله الفائق.

مثال: دارنا في الجبل مقابلة مكة وفراشها حرير طبقة على طبقة وأنت يا نور العين كي المصباح يشعل ما يطفى.

كما وصف كذلك بحسن الخلق والتصرف وأودع مكانة عالية تضاهي مكانة المرأة في المجتمع.

مثال1: ما راني كاس نتكسر ماراني حبقة نذبال

أنا جوهرة معيرة في يد سيد الرجال.

مثال2: لسمريا لسمـــــــر ياالليي عايروني بيك

فيك ما نحب وفيك ما نعشق وفيك ما هو دواء القلب

الحب: هذا الموضوع الذي طغى على معظم البوقالات وأخذ مكانة كبرى فيها وذلك لما له من علاقة بالمواضيع المذكورة سابقا، إلاّ أنّه من المؤكد أن هذا الحب هو حب عذري عفيف، فقد كان وصفه جميل وشاعري تعرض لكل مراحل الحب من لقاء وفراق...الخ.

ونجد بكثرة البوقالات التي تعبر عن الحب والتعلق بالمحبوبة فهي تصف حالة المحبوب وما يفعله من مستحيل للوصول على محبوبته وهذه أمثلة من البوقالات اتخذت الحب موضوعا لها.

مثال1: هذي زينة الشعور كحلة العيون

نديها لو كان نخسر عليها ميات مليون

مثال2: من صابني حوت في البحر عوام نجيبلك لؤلؤ وماس ونعيشك غير فالسلامة

وندير ك سلطانة على الناس.

ونجد في إطار موضوع الحب كذلك بوقالات تصف أثر الوحدة ومفارقة الأحباب كما تعبر عن الحزن والألم لمجرد الفراق بين المحبوب لمحبوبته ومن هذه البوقالات نذكر:

مثال1: حلفتكم بالوالدين بجاه النبي العربي لا تخلوني وحدي أنا اليتيم

اللي نبغيها هي سباب عذابي.

مثال2: لالة يا لالة بيني وبينك جبال أنت قلبك قاسي وأنا قلبي مذبال

نحيتك من البـــــال ومازالني نصرف عليك المال.

كما عبرت البوقالة عن شدة الشوق والحنين بين الأحبة حيث كل واحد يتمنى لقاء طرفه الآخر في أقرب وقت ممكن ومن أمثلة ذلك نجد:

مثال1: شجرة الياسمين تنهز في العلالي قولو لمحبوبي وعلاش نساني

أنا منسيتوش وديما في بالي

مثال2: يا ماعلى ذاك الصور والحمام يدور عليه وقتاش ليام تدور ونتمنى نسكن فيه

ونصيب كحل العين تمـــــا ومعاه قلبي يتهنـــــى.

ونجد البوقالة تعبر أيضا عن الوفاء والإخلاص بين المحبين وذلك مهما طال الزمن وبعدت المسافة ، والأمر متعلق بكلا الطرفين سواء لرجل أم المرأة حيث كل واحد يتعهد بوفائه وإخلاصه وهذه أمثلة على ذلك:

مثال1: أرواحيلي ياالوردة ولا نجيك راني حالف غير أنا اللي نديك

وعمري ما نفرط فيه.

مثال2: عمتي ياعمتي واش بيك زعفانـة إذا بيك على الماكلة راني شبعانـــــة

وإذا بيك على التحواس راني تعبانة وإذا بيك على كحل العين ما تديه وحدة غيري أنا

وفي مقابل ذلك فالحياة مليئة بالعوائق والصعوبات خاصة بين المحبين فهم يعانون بعض المشاكل سواء من طرف الأهل أو الناس. والبوقالة جسدت هذه الناحية أيضا، مثلا:

مثال1: هو يبغيني وأنا نبغيه عدياني كثروا كيفاش ندير

باش نشدوا وندیه

مثال2: أنا وحبيبي متفاهمين على سور نبنوه بصح يما وبابا متفاهمين باش يهدموه.

من كل ما سبق نلاحظ أن موضوع الحب كان ركيزة أساسية في معظم البوقالات واكتسى أهمية كبيرة فيها حيث ارتبط وصف المرأة والرجل بهذا الموضوع كذلك، فوصف الرجل للمرأة بجميع الصفات ووصف المرأة له بصفات أخرى كان تعبيرا عن الحب المتبادل بينهما، وذلك بطريقة جميلة وشاعرية تصف حرارة الحب وفرحة اللقاء.

الدين: لقد كان الدين محور موضوع البوقالة، إضافة إلى ارتباطها الوثيق به فلا تكاد تخلو بوقالة من هذا العامل، بحيث ذكرت بعض المناسك والعبادات التي يتمسك بها الفرد في المجتمع كالصلاة، والصوم... وغير ذلك مما هو متعلق بديننا الإسلامي، والجدير بالذكر وسيلة التقرب من الله عزو وجل وهي الدعاء التي كانت حاضرة في بعض البوقالات وذلك تضرعا لله وكان هذا في طلب التقرب من المحبوب أو لقائه أو التفريج عن همّ... سواء كان من طرف المحبوب أو أحد المحيطين به أو أي شخص آخر، ومن بين البوقالات التي تضمنت ذلك نذكر:

مثال1: خرجت من نصاف الليالي وطلبت ربي العالي قلتلو أجمع شملي مع شمل الغالي

مثال2: الحمد لله يا بنية اليوم لقيتك وحنا نتمناولك غدوة تدخلي في قفصوا إن شاء الله

وغيرها من البوقالات التي كانت تحمل في طياتها ألفاظ دينية أو تشبيهات بالدين كذكر الجنة مثلا ونجد ذلك في قول:

أمليت كفي بالحنة وارقدت بالنوم
شفت شعاع الجنة المزخرف بالنجوم كي اليوم
تزول عنا الغمة وتروح عنا الهموم

ولكن "الدين" ليس محورا موضوعاتيا خاصا، لأنه رديف بموضوع الحب والشوق والفراق، ولا يحضر هنا الشعور الديني إلا من خلال الابتهال إلى الله ليجمع شمل العشاق، أو يحميهم من الحساد، أو يرزقهم بالذرية الصالحة...

فالبوقالات إذن تدور في معظمها في فلك وجداني يتغنى بالحب ويشكو من الرقباء والعواذل...الخ، لأنها في نهاية المطاف إنتاج مجتمع محافظ حضري، يعاني في الشباب (من الجنسين) صرامة الرقابة الاجتماعية.

مما جعل "الحب" هنا يختزل في نظرة أو ابتسامة أو إشارة وغمزة... ولا يعدو ذلك إلا نادرا.

الصورة الشعرية:

ليست البوقالة خطابا فجا، ولفت الانتباه إلى مظاهره الجمالية أمر أساسي[1] فبالرغم من كل ما تحمله من مواضيع وأغراض ومعاني إلاّ أنه لا يمكن تجاهل جانبها الجمالي وذلك من ناحية اللفظ وما تحمله من صور وأوزان...

إذ نجد في البوقالة تلك القدرة الإبداعية على الأساليب المجازية والاستعارية وما يمكن أن يدرج من وصف وتصوير، فهي تحمل في طياتها هذه البراعة التصويرية سواء كان ذلك في صورة المرأة عند الرجل أو صورة الرجل عند المرأة، كل هذا يدعونا إلى دراسة البوقالة من الناحية الجمالية ويكون ذلك بتحديد الألفاظ المجازية التي استعملت بأساليب متعددة في صياغة البوقالة من بيان وبديع... فقد كان التشبيه حاضرا بكثرة في البوقالة وهذا يدل على البراعة الأدبية التي تمييز بها المجتمع الجزائري خاصة المناطق الحضرية الساحلية والداخلية[2] وبما أن البوقالة ارتبطت بالمرأة واعتبرت إحدى موضوعاتها نجدها توصف بكل الصفات كما سبق وذكرنا وتشبه بأجمل التشابيه وكأمثلة على ذلك نذكر:

مثال1: الحمامة يا حمامة يا ساكنة على السطوح

نبيقك بسلامة وعولت وين كاين المكتوب نروح

فهو هنا شبه المرأة بالحمامة في رقتها ومشيتها الجميلة المتوازنة كما نجده أيضا يشبهها بالمزهرية التي تزين الأمكنة وتبعث بعطرها الرائع، فالزهور محبوبة عند الجميع ومثال على ذلك:

مثال2: زهرة مزيانة كي نشوفها في الليل نتمنى يطلع الصباح

وكي نشوفها في النهار قلـــــــبي يرتاح

إضافة إلى تشبيهها بالمرأة الهندية وذلك لما يعرف على النساء الهنديات من جمال وحسن، وذلك في قوله:

خانة على خدك هنديـــــة خلاتني نغرق يا ضو عينيا

ماني سبع ناكلك ماني شوك ندقك راني شاب صغير جاي للدنيا.

كما شبهت بالشمس في لمعانها والقمر في ضياءه إذ أنه يضيئ السماء في ظلام الليل الحالك مثل:

حبيبتي قاعدة وسط البنات عينها تضوي كالشمس ووجهها منور كي القمر

وغير هي اللي كوات قلبي بالجمر

كما وصفت بصفات أخرى في جمالها وحسن خلقها وهي كثيرة نذكر بعضها:

مثال1: فاطمة يا كحلة لعيـــون وين ما تكوني نرسلك مرسول

إذا سكنت في البحرنرسلك عوامة وإذا أنت في السما نرسلك حمامة
وأنت يا الشابة نديك غير أنا.

1- فاطمة ديلمي، ص 90.
2- أحمد مصطفى المراعي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، 1974، ص 33.

مثال2: هي زينة الشعور كحلة لعيون ندیها لوكان نخسر عليها ميات مليون

مثال3: عينيك توت وحواجبك ياقوت أنا نديك ولا نمـــــــوت

وفي المقابل نجد صورا كثيرة للرجل عند المرأة، هذه الأخيرة التي وصفته بشكل دقيق وجميل من حيث جماله وحتى تصرفاته ومن أمثلة ذلك:

مثال1: حمام يا حمـــــــام يا طاير في العلالي

روح للهند جيبلي الجوهر الغالي روح لبلاد الناس

جيبلي ذاك لسمر ممو عياني

هنا شبهت الرجل بجوهرة نفيسة، و أشادت بسمرته ، كما وضعته في مرتبة عالية ، إذ شبهته ببؤبؤ العين.

مثال2: أحمد يا حمد يا مربوع القد اسمك غالي ومقامك عالي

معاك نكمل أيامـــي ولي بغا يقول يقـــول.

فقد بلغت درجة الوصف إلى تصوير المرأة لمن تحب في أحسن صورة وذلك بوضعها خصيصا له (أي باسمه) فقد وصفته بجماله وبعلاوة مرتبته في قلبها وأن لا شيء سيحول بين بقائهما معا مدى الحياة.

سمر ياسمر عايروني بيك فيك ما نحب وفيك ما نعشق

وفيك ما هو دواء للقلب

فكما يظهر من خلال البوقالات أن صورة المرأة في شعر الرجل وصورة الرجل في شعر المرأة كانت كلها صور جميلة تبرز الجوانب الإيجابية من جمال وحسن خلق وأفعال الرجل من جهة ومن جهة أخرى تفردت المرأة بوصف جميل بينّ مكانتها وميدان عملها ونشاطها في المجتمع الحضري، وهذا جدول عام يجسد الخيال الجمعي وصورة المرأة في الرجل.

معجم الصفات:

أ- المرأة:

الصفات	دلالتها
وردة	الجمال-الشباب-الأمل.
البدر	النور، الضياء، الرفعة، السمو، القيمة.
ملاك البشر	الصفاء، الطهارة، البياض، النقاء، الصدق.
نجمة	النور، الضياء، اللمعان، السمو.
موجة	الغرق، الضرر، الضياع، الهدوء، الخطر.
حمامة	الرشاقة، السلام، الحرية.
زهرة مزيانة	الجمال، الشباب، الحياة.
جوهرة	القيمة، المكانة، الرفعة.
الأميرة	الافتخار، التكبر، السمو، الرفعة، المكانة، القوة.
الغزالة	الجمال، الرشاقة، الخفة، السرعة.
ياقوتة	القيمة، المكانة، الرفعة، الغلاء.

الشمس	النور، الضياء، السلام.
القمر	النور، الضياء.
شمعة	النور، الضياء، السلام، الأمل.

ب- الرجل:

الصفات	دلالتها
شباب(شاب)	البداية، القوة، الحياة، الحب، الغرور، التفوق.
ليل	الظلام، السواد، الظلمة، الضياع، الخوف.
بحر	الاتساع، الضياع، الهروب، الخطر، الراحة، الخوف.
ربيع	الحياة، الجمال، الأمل، الأمان.
الفارس	المكانة، الحكم، السلطة، الشجاعة، القوة.
لسمر	الجمال.
كحل لعين	الجمال، النظرة الثاقبة.
السلطان	المكانة، الرفعة، القوة، السيطرة.

الإيقاع:

تعتبر الموسيقى عنصر من العناصر المهمة التي تبعث الراحة وإزالة الملل والرتابة في حياة الإنسان، فالموسيقى هي مجموعة الأصوات التي يتألف من ضرباتها الموقعة نغما يلمس المشاعر ومن إيقاعها لحن يهز أوتار القلوب، والإنسان منذ القديم له ميل غريزي فطري للألحان[1]. والبوقالة تحوي كل هذه الصفات من انسجام صوتي ناتج عن التوافق الموسيقي بين الكلمات.

مثال1: اليل يا اليل الشابة حلت طاقتها تتنفس شوية وغلقتهـــــــا

من صابني مرجان في رقبتها من صابني ولد الحاكم غير أنا اللي نحدثها

من خلال هذا المثال يتضح أن البوقالة اهتمت بالجانب الموسيقي بكثرة ففي قول (طاقتها، غلقتها...) جاءت الكلمات على نغم وصوت واحد وهذا ما نلاحظه في معظم البوقالات إذ تلتزم بصوت الحرف الأخير من المقطع الأول وتأتي بمقاطع أخرى منتهية بنفس الحرف، تكاد تكون هذه ميزة أو خاصية في البوقالة، مما يكسبها جمالا ورونقا على مستوى الوزن كما أن هذا الجمال الموسيقي لا يكون فقط في نهاية البوقالة حيث يمكن أن يكون في بدايتها كذلك وهذا ما نلاحظه على هذا المثال وذلك في قوله:

مثال1: من صابني مرجان في رقبتها من صابني ولد الحاكم غير أنا اللي نحدثها.

فالكلمة (من صابني) قد تكررت في المقطعين الأخيرين فقد تكرر بذلك التناغم الموسيقي كما أعطى لها دلالة أبعد وهي التمني ونلاحظ ذلك في بوقالات أخرى مثلا:

مثال2: يا داري الأرض اليابسة ترجع خضرة يا داري الأرض اليابسة ترجع غدير

يبدل ربي الساعة بالخير.

مثال3: إذا أنت ليل أنا نجمة فيـك وإذا أنت بحر أنا موجة فيك

وإذا أنت ربيع أنا وردة فيك حلفت يمين غير أنا اللي نديك

1- محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، القاهرة، 1973م، ص 434.

القافية:

أما فيما يخص القافية نجد أن شعر البوقالة من الناحية العروضية يكسر الإيقاع العروضي الموروث ويثور على بناءه السيمتري المتماثل فعدد المقاطع الصوتية في أبيات وأشطر بعض البوقالات غير متساوية ، فالأشطر هي وحدات تنفسية ووحدات معنى في الوقت ذاته، لكنها ليست وحدات عروضية[1] والمقصود بهذا القول أن المقاطع الصوتية ليست متساوية في جميع أشطر البوقالة.

أي يمكن أن يأتي شطر بكلمات كثيرة وشطر آخر بكلمتين أو ثلاث مثل:

لميت المسك والعنبـــــر وسقيت بيه صحـــــابي

خرجت لبرا فالحين جاو حبابي من بعد طول صبر فرج عليا ربي

كما أنه شعر ينزاح عن طريق التقنية المعهودة في الشعر الكلاسيكي والشعر العربي القديم والقافية في هذه الأبيات قد تنتهي بروي واحد[2].

مثل: حمامة يا حمامة يا ساكنة على السطـــوح

نبقيك بالسلامة عولت وين كاين المكتوب نروح

أو قد تنتهي بروي مختلف، مثل:

الورد فتح وكل غصن لقّح كحل العين داتو مولاتو

هنّوها يا مّالين الـــدار حوست عليه حتى لقاتو

من خلال هذه الأمثلة نلاحظ أن البوقالة اهتمت كثيرا بتحديد القوافي وحرف الروي في المقاطع البوقالاتية، إلاّ أن بناء هذه الأبيات يأتي على حرف معين له دلالته الخاصة التي تجمع بين المعنى النغمي والموسيقي، فالتنويع في القافية مرتبط بالحدث والمناسبة التي ترد فيها البوقالة ويظهر هذا التنويع خاصة في المقاطع البوقالاتية التي يفوق عدد مقاطعها الأربعة أو أكثر، إذ تتنوع القافية من مقطع لآخر خاصة في المقاطع الحوارية، أو المقاطع التي يكون فيها التعبير صادقا عن العواطف والأحاسيس التي لا تتطلب الجري وراء وحدة القافية وهنا يجدر بنا التساؤل ترى هل وردت أشعار البوقالات على عروض ما (العروض الكمي أو الخليلي) وللإجابة والتأكد من ذلك يمكن أن نخضع بعض النماذج للتحليل مثل:

إذا أنت قفطان أنا قفلة فيك

وإذا أنت محبس أنا وردة فيك

والا أنت تبغيني أنا نموت عليك

التحليل:

إذا أنت قفطان أنا قفلة فيك

1 - فاطمة ديلمي، ص 94.
2 - نفسه، ص 94.

00/ 0/ 0/ 0/0/ 00/0/0/00/ 0/

س ط س س ط س س س ط

فالملاحظ أنه ممدود في ثانية وخامسة.

وإذا أنت محبس أنا وردة فيك

00/ 0/ 0/ 0/ 0/ 0/ 0/ 00/ 0/ 0/

س ط س س س س س س ط

و الا أنت تبغيني أنا نموت عليك

00/ 0/ 0/ 00/ 0/ 0/ 0/ 0/ 00/ 0/

س ط س س س س س ط س ط

مثال2:

عينيك توت وحواجبك ياقوت

00/ 0/ 0/ 00/ 0/ 00/ 0/ 0/

س س ط س ط س س ط

نديك أنا ولا نموت

00/ 00/ 0/ 0/ 0/ 0/ 0/

س س س س ط ط

يبدو أن البوقالات "خاصة الحديثة نسبيا" لا تخضع إلا للعروض الكمي أي حساب المقاطع الصوتية الطويلة والممدودة ولا تستقيم معها بحور الخليل ولا ما اقترحه العروضيون المحدثون مثل مصطفى حركات ...وغيره.

أما بعض البوقالات العريقة، خاصة تلك التي أخذت من رباعيات المجذوب، فيمكن أن نخضعها للعروض الملحون.

مثل:

يا الواقفة بين السطوح يا اللي مغطية بالستاير

00/ 0/ 0/ 0/ 00/ 00/ 00/ 00/ 0/ 0/ 0/ 0/ 0/

ط ط س س ط ط ط س س س س س

سباعي- وهو من بحر ملحون المتدارك.

البنية:

لقد وصلنا خطاب البوقالة مرويا ومبدعته لم تترك لنا نصا مكتوبا تدلنا به على رؤيتها لنوعه، ولكنها منحت خطابها علاقات وعلامات تسمح باكتشاف هذه الرؤية إذ يمكن الاعتماد على الجانب الإيقاعي لمنح هذا الخطاب بعدا بصريا[1] ومن هنا يمكن القول أنه يستحيل تحديد بنية شكلية واحدة للبوقالة. لكن يمكن كتابتها على شكل أبيات بطريقة عمودية كأبيات ذات شطرين أو أكثر، فقد تتكون البوقالة من ثلاثة أبيات أو أكثر مثل:

حوم حوم يا حوام فوق سطح الغالية

وقولها يالالة لبنات اللي خدودها براقة

وعيونها غراقــةصارت لقلوب ليها سباقة

وقد تتراوح مابين البيتين فقط: مثل:

إصبري ياوخيتي ياك يقولو الصبر مفتاح

وقتاش يفرج ربي ويبان الصبـــاح

كما نجد بعض البوقالات في بيت واحد لا أكثر إلا أن هذه البوقالات قليلة جدا ونجد منها مثلا:

الناس تنادي بالوالي وانا نادي بربي العالي.

إضافة إلى وجود بوقالات تتكون من ثلاث أبيات يكون البيت الثالث فيها شبه اللازمة في الشعر أو ما شابه وكمثال على ذلك نذكر:

اللي ماعندو والي ربي يواليه واللي حسدوه عديانو ما يتكل على ماليه

ربي وكيلو هو يستكلف به.

وقد تطول البوقالات إلى خمسة أبيات أو ست وهذا نادر، فهي إذن لا تشكل مقطوعات بل نتفا، والنتفة كما في الشعر الفصيح، ما وقع بين البيت الواحد والثلاثة.

من كل ما سبق نلاحظ أن البوقالة لم تأت فقط على موضوع أو غرض واحد فحسب بل نجدها ألمت بكامل الجوانب، الأخلاقية منها الدينية والاجتماعية، فقد عبرت بأجمل المعاني والصور بالاستعمال الموسيقي المميز عن عدة مواضيع اجتماعية وغيرها ... دون تقيد لا بوزن ولا قافية إذ فتحت المجال واسعا للتعبير.

1- فاطمة ديلمي، ص 91.

خاتمــة

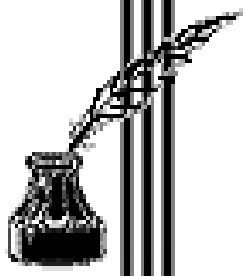

الخاتمة:

يمكننا القول أن الشعر العربي الجزائري عامة لم يكن وسيلة للترويح عن النفس فقط، إنما تجاوز ذلك ليكون دليلا شاهدا على مجتمع بكامل مقوماته، والبوقالة جزء من هذا الموروث الشعبي ،عبرت عن الحياة و أحلام النسوة و خيباتهن و هواجسهن في الجزائر التقليدية. وعلى الرغم من الأهمية التي يكتسيها هذا الجنس الأدبي إلا أنه لم يحتل المكانة اللائقة به على مستوى الدراسة، والدليل هو قلة المراجع ... لذا علينا حماية هذه الثروة الحضارية بشتى الوسائل لان هذا واجب علينا وليس مبادرة منا.

بعد الدراسة التي قدمناها حول هذا الجنس الأدبي ، توصلنا إلى مجموعة من النقاط التي رأينا فيها الجانب المهم نذكر.

أولا وقبل كل شيء من خلال تعريفنا للبوقالة وجدنا أنها ليست من أصل عربي فقد وجدناها في عدة قواميس بلغات أخرى إلا القاموس العربي، لكن توصلنا في الأخير أنها كلمة شعبية جزائرية لا تستدعي العودة إلى القاموس.

إن كلمة بوقالة تدل على معنيين، الأول لغوي: وهو القلة المصنوعة من الفخار، أما الثاني فيتمثل في كونها لعبة تراثية نابعة من قلب الأحياء الشعبية في الحواضر الساحلية عامة و في العاصمة خاصة .

من خلال تتبعنا المسار التاريخي للبوقالة توصلنا إلى أنه لا يمكن معرفة البداية الحقيقية لها، لا زمان نشأتها ولا المكان الذي نشأت فيه حتى لقائلها الذي كان ولا يزال مجهولا.

بعد إجراء مقارنة بين البوقالة والحوفي وجدنا تقاطعا في النصوص إذ تكاد تكون مطابقة لها خاصة في الشكل والألفاظ، ما أدى بنا إلى القول أن البوقالة لها صلة بالغناء الحوفي.

كما وجدنا أن البوقالة مرتبطة بصفة خاصة بالمرأة دون الرجل على الرغم من كون بعض البوقالات تأتي على لسان الرجل المغازل وأحيانا تكون البوقالات من تأليف الرجال، مثل رباعيات المجدوب التي تم تبنيها في الأوساط النسوية، لتتحول إلى بوقالات وكأنها رباعيات مجهولة المؤلف، وهذه اللعبة تختلف أيضا من منطقة إلى أخرى إلا أن الجانب المهم الذي توصلنا إليه أن هذه اللعبة في زوال مستمر والدليل أنها أصبحت تستخدم في الأعراس فقط بكتابتها على قصاصات ورقية لا أكثر، إضافة إلى استعمالها كوسيلة للإشهار والتسويق وذلك في ظهورها على صفحات الجرائد وأغلفة المنتوجات الاستهلاكية.

من خلال المدونة التي جمعناها خلال بحثنا الميداني لاحظنا أنها تحمل في طياتها مواضيع وأغراض مختلفة، كما انصبت حول مواضيع أهمها الحب والمرأة، وبالتالي فهي اهتمت بمطامح الفرد الجزائري إذ اتخذته موضوعا لها واتجهت له رؤية مستقبلية لا يشوبها الحزن والألم بقدر ما يسودها الأمل والرجاء هذا من جهة، من جهة أخرى نجد أنها تجاوزت تلك الأغراض والمواضيع إلى اهتمامها بالجانب الفني والجمالي وذلك باستعمال المجاز والبديع كما تجاوزت الدلالات إلى الرموز ... لذا يمكن القول أنها كانت عبارة عن رسائل قصيرة معبرة عن شعور النساء وأحاسيسهن أردن من خلالها إيصال ما لم يستطعن قوله للطرف الآخر.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد الممنا بأطراف الحديث عن هذه الظاهرة الشعرية الشعبية في الجزائر خاصة سواء من الجانب الخارجي أو جانبها الداخلي معتبرين أنها جزء من أصالتنا وجب على كل واحد منا التمسك بهذا الكنز الثمين وحفظه من الاندثار.

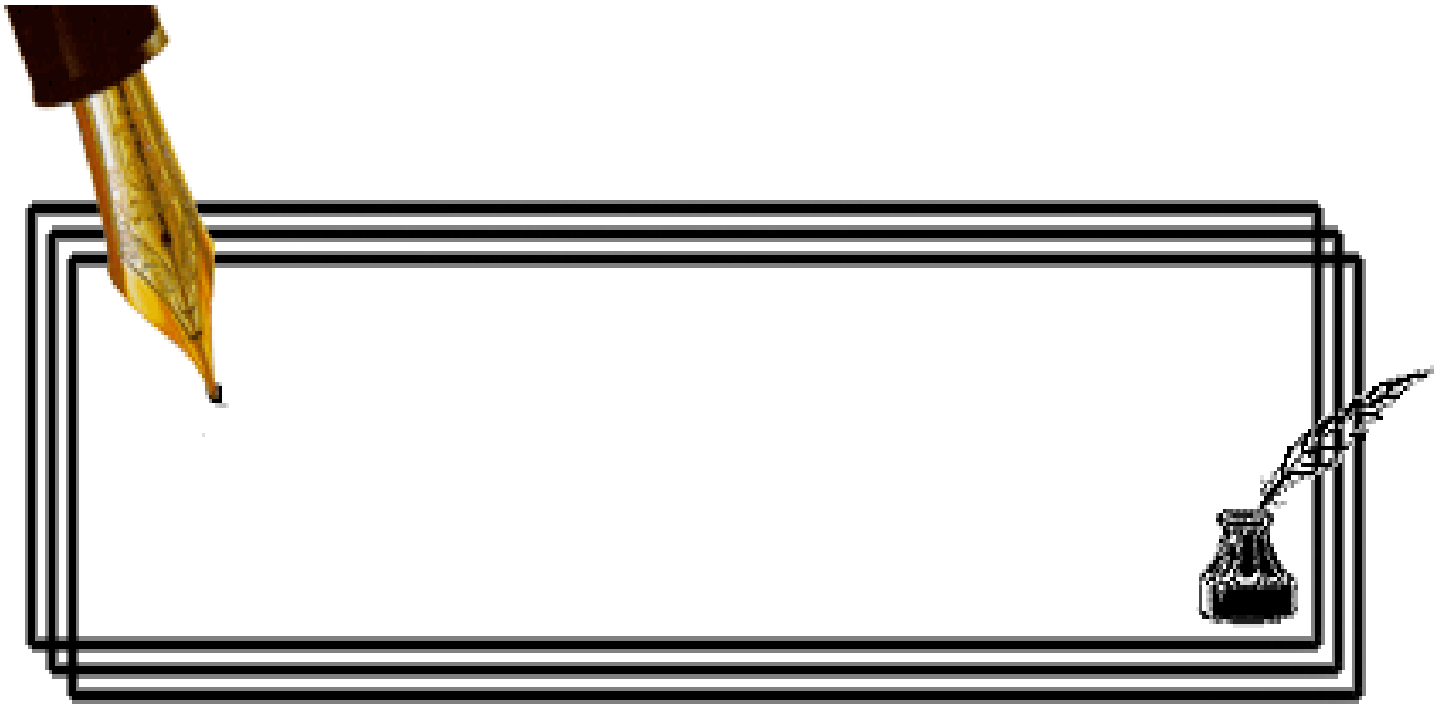

الملاحـــق

1

دارنا فالجبل مقابلة مكة وفراشها حرير طبقة على طبقة

وانتا يا نور العيــن كي المصباح يشعل ما يطفــى

2

يا داري الأرض اليابسة ترجع خضرة يا داري الأرض اليابسة ترجع غدير

يبدل ربي الساعة بالخير

3

حبطت لذاك الجنان لفيت شاب غايس قلتلو واش بيك يا غايـــــس

قالي راني سفينة بلا رايــس قتلو اصبر ياك كل يوم يدخلوا العرايس

4

أنا كوشة وحجاري طابو واللي باغي الزين يصبر لعذابو

5

إذا أنت قفطان أنا قفلة فيك

إذا أنت محبس أنا وردة فيك

ولا أنت تبغيني أنا نموت عليك

6

لميت المسك والعنبر بيه صحابي خرجت لبرا فالحين جاو صحابي

من بعد طول صبر فرج علي ربي

7

خرجت على جنان مليان خوخ ورمان وريحة العنبر والريحان

جنان ما مثلوا جنـــــــان فيه ما القلب يتمنــى

8

عين الغالي عليا وعيني حذاه ملهيه

وبطيب القلب وصفاوة النية عرفت بلي نبغيه

9

الليل يا الليل الشابة حلت طاقتهـــا تنفست شوية وغلقتـــــها

من صابني مرجان في رقبتها من صابني ولد الحاكم غير أنا نحدثها

10

جابولي خلخال ذهب وعقد مرجان الفرح ولّى ليا والسعد زيان

11

مكان البدر خليتك ملاك الخير سميتك

عزيزة وغالية ناديتك وبعيد الفطر هنيتك

12

إذا أنت ليل أنا نجمة فيك

إذا أنت بحر أنا موجة فيك

إذا أنت ربيع أنا وردة فيك

حلفت ميات يمين غير أنا لي نديك

13

قلبي على جمرة وقلب الغالي على تمرة ابعثتلو وردة حمـــرة

وقلتلو الخدعة مـــــــرة قالي والله ما نخدعك يا حرة

14

حمامة يا حمامـــــة يا ساكنة على السطـــوح

نبقيك بالسلامـــــة وعولت وين كاين المكتوب نروح

15

عندي بنتي خدودها عكري اللي عينوا فيها يديها بكري

اللي عندو الزهر يديها اللي ما عندوش يبكي عليها

16

يا الراقدة في الحصيرة والدموع في عينيك

الفارس جا يحميك وولد السلطان يديك

أفرحي يا البنية واطلبي ربي يهنيك

17

زهرة مزيانة كي نشوفها في الليل نتمنى يطلع الصباح

وكي نشوفها في النهـــار قلبـــي يرتاح

18

مليت كفي بالحنة ورقدت بالنوم شفت شعاع الجنة المزخرف بالنجوم

كي ليوم تروح عنا الغمـــة كي ليوم تزول عنا لهمـــوم

19

حوش مربع قرمودو ملمع

الغاشي مجمع من كل قبيلة وقبيلة

اصبري يا طفلة على ليام الطويلة

20

غالي غالـــي والغالي ربـــي

مهما تروح وتغيب معزتك في قلبي

21

خرجت في نصاف اليالي وطلبت معبودي

قتلو يا ربي جمع شملي مع شمل محبوبي

22

مراني كاس نتكسر ماراني حبقة نبذال

أنا جوهرة معيرة في يد سيد الرجال

23

طفات الشمعـــة خلاتني للظلمـــة

راح الحبيب الغالي بلا مـا قال كلمة

هذا هو زهري حتى في الكبدة نلقى عظمة

24

بعثتلك سلامي في سما لزرق بعثتلك دموعي في القلب تحرق

والله ما دريت هذا الحب اللي بيناتنا يتفرق

25

خرجت نهار الجمعة في يدي شمعة

قالولي امسحي الدمعة ونساي ذيك الخلعة

قريب يتلموا حبابك ويفرحوا معاك الجماعة

26

قاعدة معاه في التصديرة هو شباب وهي صغيرة

ربي يحميهم من الحسد والغيرة

27

قاست على قدها قفطان حرير واتاها حوسنا مثلها كل بلاد ما لقيناها

28

دارنا فنار وزجاجها ضواي من صاب حبيبتي في وسط الدار

يقولو لي نقصدها كل نهار

29

واش راك تشوف يا ذاك المكشوف أنا لناس حرير وأنت صوف

راني نشوف خلقت مولانا وهذا الزين اللي حذانا

30

عينك عقاشة وخدودك مشماشة

نشوفك يا عمري ولا نتغاشى

31

جايز على باب دارنا ينقي فلا رنجة

عمل روحو يهدر وقعد فوق الدرجة

قلتلو واش تسحق قالي أنا محمود ولد العلجة

اصبري قريب تجي الفرجة

32

يا الراكبة ما بين عرقين سايسي روحك لا تطيحي

وخطيك من صحبة اثنين أدي واحد وروحي

33

الصباح ورد والعشية مسك حياتك معايا زاهية ما فيها شك

34

خيوط الليل ذابت وشعاع الصباح بان والشمس الفوق لمحت ذهب على الركان

واللي زمان غابت اليوم تبان اسقم السعد والحظ زيان

35

خانة على خدك هندية خلاتني نغرق يا ضو عينيا

ما ني سبع ناكلك ما ني شوك ندقك

راني شاب صغير جاي للدنيا

36

حي الملوك جاني ملفوف في اوراقو أنا وحبيبي في بلاد والقلب مشتاقو

37

واجبتك...نحبك ونموت عليك وحتى واحد ما يديك

نهار الخميس نجي ونجيب يما ونديك

38

حجيلة يا حجيلة يا محنية الرجلين

ندير ميات حيلة ونطير بلا جنحين

نحوم على بلادك حتى نعرف باب دارك

اليوم اللي ربي جابك كتبلي نشوف عينيك

39

طلعت للسطح تقربعوا بيا للواح

أنا هنا معذبة واللي نحبوا راه مرتاح

40

ميرة يا ميرة شفتك في هذيك البحيرة

نديك لوحد الدويرة ندور بيك الملائكة كي الأميرة

41

جاز على باب دارنا سكران يترامى

اعطيتلو تفاحة وكاس نتاع ما

قالي ما بيا ماكم ولا تفاحكم بيا الغزالة اللي في داركم

42

من صابني حوت فالبحر عوام

ونجيبلك لؤلؤ وماس ونعيشك غير في السلامة

43

فاطمة يا فاطمة سبحان خلاقك

شفت النجوم فالسما عماتني فالعين

نبكي بالدمعة والقلب مشتاقك

44

هو يبغيني وأنا نبغيه عدياني كثروا كيفاش ندير

باش نشدوا وندیه

45

أنا حبيبي متفاهمين على سور نبنوه

بصح يما وبابا متفاهمين باش يهدموه

46

عمتي يا عمتي واش بيك زعفانة

إذا بيك على الماكلة راني شبعانة

إذا بيك التحواس راني عيانة

وإذا بيك كحل العين نديه غير أنا

47

جازوا عليا ثلاث طيور روسهم ذهبية

الأول كي الغزال قالي متكحليش عينيك

والثاني قالي متحنيش يديك

والثلث قالي راني جاي نديك

48

بنتي يا بنتي بركاك من التخمام

اللي تمنيتي راه جاي مهما طال العام

49

هي زينة الشعور الشابة كحلة العيون

نديها لو كان نخسر عليها ميات مليون

50

ارواحيلي يا الوردة ولا نجيك راني حالف غير أنا اللي نديك

وعمري ما نفرط فيك واذا حسدوني عدياني

ندير خامسة في صدري ونزين بالحنة على يديك

51

اللي ما عندو والي ربي يواليه واللي حسدوه عديانو

ما يتكل على ماليه ربي وكيلو هو يستكلف بيه

52

حبيبتي قاعدة وسط لبنات عينها تضوي عليا كي الشمس

ووجها منور كي القمر وغير هي اللي كوات قلبي بالجمر

53

كان الزهو في جناني والحسد عند جيراني

وأنا فرحانة بزماني ونومي نوم الهاني

واليوم يا عباد شفتوا كيراني من عشق ذاك الشباب البراني

54

يا يما ويا بابا راني حالف نقطع البحور وماتشوفوني

واذا صح تحبوني جيبولي مصبوغة السالف وخلوني

55

وكلي ربي يا بنتي هو اللي يفرج على عبادوا وكي اليوم يطلع النهار

56

يرحم زمان اللي كانت دموعي ويدان حتى اليوم نساتني لحزان

وكلت ربي على اللي دار بينا لفتان وفرحتي ولات على كل لسان

نشكر ربي مول القدرة والبرهان

57

الطير اللي طارلي ياك راني صبتوا

قالي منك هذا الجفا ومنك كل الأسباب

افرحولي سعدي تسقم وطيري راه نصاب

58

عييت ما نشوف وعييت ما الوقوف إذا انت قريت انا هجيت

وكل حرف وحرف نعطيك جوابوا نعلة الله على اللي نكر صحابو

59

شفت الخد لبيض والخد لحمر وورد معجب فاتح في غصانو

والله واحد ما يديك ما يناول قفلي قفل صحيح شكون يدنالو

غير مول النية الصافية هو اللي يسجالو

60

حمام يا حمام يا طاير فالعلالي روح للهند جيبلي الجوهر الغالي

روح لبلاد الناس جيبلي ذاك لسمر مموعياني

61

الزين يا الزين زنيك سباني كي نسمع صوتك يسيلو دموعي

ربي يا سيدي كملي معاه وطفي نيرانو في ضلوعي

62

في وسط الجنان قاعدة والحمام داير بيها

شادة وردة حمرة وفرحانة بيها

تنحات عليها الشدة والسعد ولى لها

63

خرجت لبرا ووليت لقيت الخطابة فالبيت

قابلت لمواج ودعيت رجعولي ربي وتهنيت

64

يما يما ضاق بيا الحال وولى الوحش اللي بيا

نروح عند خوالي يرحبوا بيا ولا نروح للغالي ممو عينيا

65

كنت وردة منورة عليكم ذبلت ورميتوني

كنت شمعة ضاوية عليكم حتى طفيتوني

انا الخير عملتو فيكم وانتو ما عملتو فيا الدوني

66

جعلولتي العالية في راس الزيتونة

أنا ولسمر متفاهمين والناس حسدونا

خمسة غي عينكم يا اللي ما تحبونا

67

فاطمة كحلة لعيون وين تكوني نرسلك مرسول

وإذا اسكنت البحر نرسلك عوامة

وإذا اسكنت فالسما نرسلك حمامة

وانت يا الشابة نديك غير أنا

68

الورد فتح وكل غصن لقح كحل العين داتو مولاتو

هنوها يا مالين الدار حوست عليه حتى لقاتو

69

عينك عين لغزالة كي نشوفك قلبي يرتاح

ندي ولد المدينة ولا ولد الفلاح

70

حبطت لوسط الدار حبطت معايا زربية

جاز عليا طير ورمالي برقية

افرحي يا يما اللي راح ولى ليا

71

حلفتكم يا الوالدين بجاه النبي العربي

لا تخلوني وحدي يتيم اللي بغيتها هي سباب عذابي

72

خرجت فالليل نطلب فالله لقيت النجوم دايرين بسيدي رسول الله

كل واحد يقول الغالب هو الله وكل واحد يقول ما يدي غير ما عطاه الله

73

لالة يا لالة بيني وبينك جبال انت قلبك قاسي وانا قلبي مذبال

نحيتك بكري من البال ومازالني نصرف عليك المال

74

في وسط الجنان قاعدة والطير داير بيها

رافدة وردة حمرة ربي فرج عليها

تهنات والسعد ولى ليها

75

خارجة للشط تجري بجبتها من صابني خاتم في يديها

من صابني سنسلة في رقبتها من صابني ولد السلطان نروح نحدثها

76

ذاق عليا الحال وبكيت ارفدت بريقي وتوضيت

توجهت للقبلة وصليت فرج عليا ربي وتهنيت

77

يا لالاتي فاطمة يا لالاتي فطوم

ريت النجوم فالسما حسبتهم ساقك

العين تهواك والقلب مشتاقك

78

خيوط الليل ذابت وشعاع الصباح بان

واللي زمان غابت ليوم تبان اسقم الزهر والسعد زيان

79

حبطت لذيك البحيرة وأنا ما زالني صغيرة

خرجلي حوت قالي عليك نموت قتلو خبي السر واخفض الصوت

80

احمد يا احمد يا مربوع القد اسمك غالي ومقامك عالي

معاك نكمل يا ماتي واللي بغا يقول يقول

81

قاعدة فالدروج محنية يديها تطلب فالله يفرج عليها

82

اصبري يا وخيتي ياك يقولو الصبر مفتاح

وقتاش يفرج ربي ويبان الصباح نتهنى وقلبي يرتاح

83

الناس تنادي بالرجال والوالي وانا ننادي بربي العالي

84

حوم حوم يا حوام فوق سطح الغالية وقوللها يا لالة زينة لبنات

اللي خدودها براقة وعيونها غراقة صارت كل القلوب ليها سباقة

85

جزت على تاقتها وسمعت ضحكتها جيبوهالي ولا نموت بسبتها

86

سمر يا سمر يا اللي عايروني بيك

فيك ما نحب وما نعشق وفيك ما هو دواء للقلب

87

قولو قولو والقول سباق فيكم أنا ديت الزين وخمسة في عينيكم

88

شجرة الياسمين تنهز فالعلالي قولو لمحبوبي وعلاش نساني

أنا ما نسيتوش وديما في بالي

89

حب الملوك يا حب الملوك جاني ملفوف في اوراقو

نموت على حبيبي وما نصبرش على فراقو

90

يا معلي ذاك السور والحمام يدور عليه

وكتاش ليام تدور نتمنى نسكن فيه

ونصيب كحل العين تما ومعاه قلبي يتهنى

91

جاري يا جاري يا اللي دارك مقابلة داري

شحال عيني تقابل عينك وما نبوحلكش بسراري

92

مردقوش يا مردقوش على المحبس منقوش

ما يحمل ذل ما يحمل هانة شكون يصبر على حبيبو كيفي أنا

93

بالبشارة بشرتوني وبالجنة زورتوني وعلى الغالي انشاء الله تهنوني

94

يا نجمة النجوم يا اللي ساكنة وحدك

في السما راح يجي ولد الحلال اللي يخرجك

من كل هذ الهموم ويسقيك الما

95

اذا طاح الليل النهار يطلع اذا كثر النحاس الذهب هو اللي يسطع

وسيرتك كي العطر بين الناس في القعدة زينة كي السلطان مربع

96

زيتونة طاحت من السما قلت لكحل العين بلاك تنساني

قالي والله ما ننساك ياضو عياني

97

حبطت لقاع البحر صبت الناس رقود تنهدت الدالية وطاح العنقود

السحاب يقول نكشف والقمر يقول نذوب راه كلشي في السر عند ربي مكتوب

98

انتوما يا ناس تقولون نتوما وانا نقول يا ربي اعطيني يا لوكان وليد الحومة

99

اللي في بالها راهو في بالك اللي تبغيها راهي على جالك

والعدو اللي بيناتكم راهو هالك واللي يخاف ربي ديما سالك

100

اطلعت للسطح نسقي فالحبق جازوا عليا زوج قمار

وحدة تقولي غزالة ووحدة تشعل في القلب النار

101

يا اللي جاية من العين وبيدك مليتي القلة

سبحان من عطاك الزين زادت في بهاك الجنة

102

طليت على البحر شكيتلو همي نطق ليا وقالي فرج ربي

اللي تحبيه راه جايك سالم غانم كيما يحبي

103

شمعة يا شمعة ضواية لو كان نعرف ما بيك

نمسح الدمعة على وجهك ونرد وجهك مرايا

يا ربي يا معبودي اقبل دعايا يرجعلي زهو الزمان ويرجع محبوبي حذايا

104

حبيت نلعب بيك وليت نعشق فيك وراني حالف غير انتي اللي نديك

105

احمد يا احمد تمنيتك في بالي نطلب ربي باش تكون زوجي حلالي

ندخلو ونخرجوا ويموتو عدياني

106

نوعدك ما ننساك وما تغيرت صورتك من بالي

وبغيرك وبغير سيرتك حاجة ما تحلالي

107

ثلاث نجمات وحدة ذوباتو

او وحدة علاتو اووحدة سلبت لعقول وداتو

108

حومة في حومة وأنا حومي بعيدة

الناس تصوم مع الناس وأنا صومتي وحيدة

109

راني في جناني السر والبهى ريتو بعياني

راني حالفة للرب العالي هاذ المرة ما ندي غير الغالي

110

قطعوني قطيع ودرسوني دريس الكروية

أنا والله ما ننساك يانور عينيا

111

الحمد لله يا بنتـــي اليوم رانـــي لقيتك

حنا نتمنا ولك غـدوة تدخلي في قفصو انشاء الله

112

الجزائر الباهية يا زينة البلدان

الناس تشري منها الذهب والمرجان وأنا نجيب عروسة زينة النسوان

قائمة المصادر والمراجع

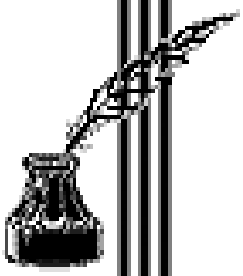

قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

1/ أحمد مصطفى المراعي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، 1974.

2/ العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى، الجزائر، ج1.

3/ عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية –التاريخ والقضايا والتجليات- دار أسامة للطباعة والنشر، 2006.

4/ فاطمة ديلمي، لعبة البوقالة –الطقس والشعر والمرأة- المركز الوطني للبحوث في أعمال ما قبل التاريخ، 2009.

5/ محمد عبده محجوب، التراث الشعبي –دراسة ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية- ط1، دار وفاء للطباعة والنشر، 2007.

6/ محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، القاهرة، 1779.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

1/ M’hAamsadji Kaddour, Jeu de la Boukala, office des publication, Alger, 2003.

2/ Revue Africaine, Ben Chenneb, Chansons de l’escarpolette, 1945.

3/ Yelles Chaouche Mourad, Le Houfi poésie, tradition orale, O.P.U, Alger, 1986.

فهرس الموضوعات:

إهداء

مقدمة .....أ-ب

الفصل الأول: مونوغرافيا

1- طبيعة المنطقة (جغرافيا، نمط السكان...) 05

2- دورة الحياة (طقوس الميلاد، السبوع، الختان، الزواج، الجنائز).....07

3- حركة الفصول وما يترتب عنها من ممارسات وعادات وطقوس. 17

الفصل الثاني: البوقالة كشعر نسوي

1- تعريف البوقالة 20

2- جذور البوقالة..... 21

3- طقوس لعبة البوقالة في بومرداس حاليا (وصف وتحليل)..... 26

الفصل الثالث: شعرية البوقالة

1- موضوعات البوقالة..... 31

2- الصورة الشعرية..... 36

3- الإيقاع (أوزان، قوافي، بنيات)..... 39

خاتمة 46

الملاحق..... 49

قائمة المصادر والمراجع..... 67

فهرس الموضوعات 68